د. عبد الكريم برشيد

ابن الرّومي في مدن الصّفيح

نص مسرحي



احتفال مسرحي في سبع عشرة لوحة

د. عبد الكريم برشيد

نص مسرحي



ابن الرومي في مدن الصفيح



احتفال مسرحي في 17 لوحة



24 زنقة القاضي الزموري الأحباس - الدار البيضاء
24, Rue El Kadi Zemmouri - Habous - Casablanca
Fax: 022 44 46 43 :الفاكس - Tél. : 022 44 91 08 :الهاتف



الطبعـــة الثانيـــة : 2007/2006

رقم الإيداع القانوني : 2005/2121

الترقيـــم الدولـــي : 9954-406-94-8



تقديم

إن إدراج وحدة الثقافة الفنية التي يعتبر المسرح أحد مكوناتها في المناهج الجديدة له مايبرره خصوصا وأن دراسة الفنون الجميلة أصبحت مسألة طبيعية إن لم نقل مفروضة، فالحياة تبقى جافة ورتيبة ومملة إذا خلت من الموسيقى والمسرح والتشكيل وغيرها من الفنون التعبيرية التي تعمل على تهذيب حياة المتعلم وإعطائها لونا جذابا ونكهة مثيرة.

إن الفعل المسرحي لايوجد في منأى عن أهداف التربية الحديثة ومخططاتها وغاياتها ومقاصدها، كونه يعتبر من الوسائط التربوية الفاعلة الهادفة إلى تنمية قدرات التلاميذ العقلية والعاطفية والجمالية واللغوية والثقافية، فهو ينقل لهم بلغة إبداعية الأفكار والمفاهيم والمبادئ، ويضعهم وجها لوجه أمام مواقف وتجارب جديدة، هذا فضلا عن تقديمه للعديد من المثيرات التي تحقق الرغبة في المعرفة.

إن اعتماد مؤلفات جديدة بالجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية، والجذع المشترك للتعليم الأصيل من طرف وزارة التربية الوطنية يصب في هذا الاتجاه. ولعل اختيار مسرحية «**ابن الرومي في مدن الصفيح**» للكاتب المسرحي المغربي الدكتور عبد الكريم برشيد يحمل بين طياته غايات تربوية، ومقاصد بيداغوجية، وأهداف معرفية، لها ما يدعمها في العملية التعليمية التعلمية. فالدكتور عبد الكريم برشيد يعد رائدا من رواد المسرح العربي والمغربي بفضل جهوده المتواصلة في مجالات الكتابة الدرامية والتنظير المسرحي والدراسات والأبحاث النقدية الجادة والهادفة، لذلك لا غرابة أن يتم اعتماد نص من نصوصه الدرامية التي تميزت بتمثلها لآليات الكتابة المسرحية وتقنياتها المتعددة والمختلفة شكلا ومضمونا. هذا بالإضافة إلى كون هذا النص يجسد بعض مواقف

وتصورات المسرح الاحتفالي الذي يَعْتَبِر المسرح فنا من الفنون التعبيرية التي ترقى بعقل الإنسان وروحه ووجدانه، كما يعتبره مقياسا لرقي المجتمعات وحضارات الأمم وتطورها. لذلك لاَيَسَعُ المتتبع للفعل التربوي ببلادنا إلا مباركة هذه الخطوة وتثمينها.

إن عملية مراجعة البرامج تقتضي من جميع الشركاء الانخراط والمشاركة فيها قصد إنجاحها، من هذا المنطلق وإسهاما منا في تفعيل هذه المبادرة وبلورتها، عملنا على إصدار هذا النص المسرحي في حلة جديدة، حتى يسهل التعامل معه قراءة ودراسة وتحليلا من لدن الأساتذة والتلاميذ. وسعيا إلى تسهيل عملية تملك المعرفة المسرحية والتعامل مع نصوصها من قبل التلاميذ والأساتذة عملت الدار على نشر دراسة تحليلية موازية لهذا النص، انطلاقا من جهاز مفاهيمي دقيق، وبأدوات منهجية وتقنيات تحليلية ملائمة، بهدف تذليل الصعاب أمام التلاميذ ومساعدتهم على اكتشاف خصوصية الفن المسرحي الذي يمثل من الناحية النظرية فضاءً لمجموعة من الفنون المقروءة والمسموعة والمرئية، مع مراعاة قدرات التلاميذ لتمكينهم من اكتساب الكفايات المعرفية واللغوية والتواصلية المنشودة ومساعدتهم على امتلاك حس نقدي متذوق للعمل الإبداعي.

وفي الأخير نرجو من الله أن نكون قد وفقنا في الإسهام الإيجابي في هذا المسعى النبيل.

الناشر

شخصيات مسرحية
ابن الرومي في مدن الصفيح

1 – ابن الرومي الشاعر
2 – عريب الجارية
3 – دعبل الأحدب
4 – عيسى البخيل
5 – أشعب المغفل
6 – جحظة المغني
7 – الزبون الأبكم
8 – الرباب بائعة الجواري
9 – حبابة الجارية
10 – جوهرة الجارية
11 – الخادم يا زمان
12 – يعقوب المنادي
13 – إسحاق المقدم
14 – ابن دانيال
15 – دنيا زاد ابنته
16 – عامل الستار
17 – سعدان كاتب عمومي
18 – حمدان الشاعر
19 – رضوان العامل
20 – مقدم الحي
21 – العون الأول
23 – العون الثاني
24 – عاشور الأبله
25 – الأطفال 1 – 2 – 3

① إلى أين يرتفع الستار

(تنطفئ الأنوار بينما يبقى الستار مسدلا. بقعة ضوء متحركة تكشف عن رجل متحرك يخترق صفوف الجمهور. يجري نحو الخشبة وهو يجر خلفه عربة تعانقت فيها الألوان بشكل مثير. تُقرأ على العربة بألوان مختلفة «خيال الظل، تمثيل، رقص، شعر، غناء، زجل» تمشي إلى جوار العربة فتاة غَجَرية هي ابنة الرجل. تصاحب دخولهما الصاخب موسيقى مرحة. يرتدي الرجل وابنته لباس الغجر المتجولين. يُخفيان وجههما خلف أقنعة كاريكاتورية ملونة. يمشيان في حركة شبه راقصة وهما يُلقيان على الجمهور بالورق الملون بالشهب الاصطناعية وبالمناشير وبقصاصات الصحف والأشعار.. يمر المشهد بسرعة سينمائية مُحدثا رجة في الصالة. يمكن للمشهد أن يبتدئ خارج المسرح أو عند مدخله. يلتحق الثنائي أخيراً بالخشبة وذلك من خلال ممر خشبي يربط ما بين الصالة والخشبة).

عامل الستار : **(مسرعا نحو الثنائي في غضب)** أيها السيد العاصفة. يامن يدخل كالطوفان والزلزال. متى تفهم ؟

ابن دانيـال : تكلمني ؟ **(ينزع عن وجهه القناع).**

عامل الستار : أكلمك. إن كنت طفيليا فاعلم أنك لست في عرس . . .

ابن دانيـال : المسرح حفل واحتفال. هكذا علمونا . . .

عامل الستار : ولكن نحن من يعطي الحفل لا أنت.

ابن دانيـال : ومن قـال هـذا ؟

عامل الستار : لاتوجع رأسي بأسئلتك البلهاء. خذ مكانك بين الناس واقنع بالظلمة والصمت. خذ مكانك . . .

ابن دانيـال : أليس هذا مسرحاً يا رجل ؟

عامل الستار : إنه مسرح وإن حسبته سيركا فقد أخطأت. خذ مكانك ودعنا نرفع الستار. . .

ابن دانيـال : **(ملتفتا لابنته)** دنيازاد. هل سمعت ؟ إن الرجل لايعرفني ياابنتي . . .

دنيـــازاد : وكل من في الصالة أيضا لايعرفك.

ابن دانيـال : أخبريهم إذن عني. أخبريهم، لا أريد أن أضيع هكذا في الزحام. . .

دنيـــازاد : **(للعامل)** سيدي. هذا الرجل الواقف أمامك في تواضع العلماء، هل تدري من يكون ؟ إنه ابن دانيال شيخ المخايلين . . .

عامل الستار : بل هو شيخ المخادعين . . .

ابن دانيـال : سامحك الله . . . هربتُ من كتب التاريخ الصفراء. . .

عامل الستار : هذا ما تقوله أنت . . .

ابن دانيـال : وماذا يقول غيري ؟

عامل الستار : إنك هربت من مصحة المجانين . . .

ابن دانيـال : الملاعين ! أجبني أيها الرجل. لقد سمعتَ من غير شك عن ابن دانيال . . .

عامل الستار : سمعت الكثير . . .

ابن دانيــال : أو قرأت شيئا عني . . . هل تقرأ الصحف ؟

عامل الستار : أقرأها. ولقد رأيت صورتك في ركن المتغيبين.

ابن دانيــال : **(لابنته في فرح)** دنيازاد. هل سمعت ؟ لقد تعرف الرجل علي أخيرا . . . سيدي، اذهب وارفع الستار وليبدأ الحفل وسترى إن كنت ابنَ دانيال أم لا . . .

عامل الستار : سأرفع الستار ولكن ليس الآن. عمال المناظر لم يكملوا البناء بعد.

ابن دانيــال : عمال البناء ؟ . . . ولكن ، أي شيء يبنون الآن ؟ أريد أن أعرف ذلك . . .

عامل الستار : لن ترى جديدا . . .

ابن دانيــال : ماذا أسمع ؟

عامل الستار : . . . فمنذ كان المسرح والمناظر محصورة في شيئين. القصور للأغنياء. . .

ابن دانيــال : . . . والأكواخ للفقراء. . .

(تُسمع الدقات التقليدية الثلاث، ينسحب عامل الستار)

② رحلة المخايل الطويلة ..

(يُرفع الستار عن ساحة تحيط بها مجموعة من دور القصدير وأخرى من القصب. ظلام شبه تام. تنبعث من «النوافذ» أضواء خافتة ترسلها شموع هزيلة. في الجهة اليسرى للجمهور تشاهد مصطبة مستديرة... الدور هي عبارة عن إطارات خشبية أو قصبية وبداخلها ستارات مختلفة الألوان رسمت فوقها أبواب ونوافذ... وبواسطة النور المنبعث من الخلف يمكن أن ترى الحياة داخل الأكواخ، وذلك على شكل ظلال متحركة... نرى امرأة حبلى وهي تحرك الحصى داخل قدر وهمي وفوق رأسها أقنعة ظلية مختلفة ذات أفواه مفتوحة عن آخرها. نرى رجلا في وضع الصلاة وفي يده سبحة... نرى امرأة تطحن وهي تردد لحنا حزينا... نشاهد رجلا غارقا في سحابة كثيفة من الدخان وفي يده قضيب وبالقرب منه كأس شاي.. تصاحب هذه المشاهد السريعة موسيقى تصور الليل والفقر...).

دنيـــــازاد : **(للجمهور، بعد أن تتأمل المنظر مليا)** سادتي.
ترى من يكون الشيخ وما قصته؟ في العين أراه سؤالا
بحجم السماء ... وفي القلب يا سادتي أقرأه ...

ابن دانيـــال : أنا ابن دانيال المخايل وهذه دنيازاد ابنتي. حيي الجمهور يا امرأة. **(تنحني. تصفيقات خارجية).**
رحبي بالناس كما تعودت. هيا افعلي...

دنيـــــازاد : سادتي. أهلا وسهلا بمن قد حضر... **(تصفيق).**

ابن دانيـال : ليلنا رقص وغناء وشعر وسمر . . .

دنيــــازاد : لاتصدقوه أرجوكم. إنه يخلط الجد بالهزل. . .

ابن دانيـال : أحبتي. أتيتكم من بين الصفحات الصفر الباليات.

من الزمن المعلب النائم فوق الرفوف.

كنت حرفا تائها. معلقا منشورا

فـوق حبـل الزمـن

فجئتكم، كدفقة نور كموجة صوت

كليل يمطر أقمارا ونجوما ساطعات

كنت عمرا فقيرا، بذر في غيبة السمار زيته

فجئته الآن من قلب غمامة

أحمـل حفنـة زيت وفي القلب شرارة . . . **(ملتفتا لدنيازاد)** أكملي أنت يا ابنتي.

دنيــــازاد : **(للجمهور)** ريشتان نحن ياسادتي

في مهب رياح الزمن . . .

ابن دانيـال : . . . تحملنا، تنقلنا عبر المدائن والقرى والأسواق

تنقلنا الرياح. . .

دنيــــازاد : أبي. . . **(وهـي تنظر إلى الجمهور)** هل قرأت مثلي

ما يجول في خاطر الحاضرين ؟

ابن دانيـال : ماقرأت شيئا ياابنتي . . .

دنيــــازاد : إنهم يسألون عن ثروتك . . .

ابن دانيـال : ثروتـي ؟! **(يضحك)** ثروتي كالشعراء في الكلمات.

يداي فارغتان إلا من ظلال. ظلال تعيش بغير نبض. وأشباح تحيا بغير أنفاس... ثروتي أطياف خيال تحركها قضبان خفية، وقناديل وشموع ترسم بالنور ظلالا شبه حية. أدخل القرى والمدائن فيتبعني الأطفال الأشقياء. يجرون كالشياطين خلف العربة... **(يدخل طفل صغير. يرى المخايل فينادي أصحابه بأعلى صوته)**.

الطفل 1 : لقد جاء صاحب طيف الخيال. أسرعوا. أسرعوا.

(يدخل طفلان آخران. يتصايح الجميع فرحا وهم يرددون بشكل موقع: طيف الخيال. طيف الخيال).

ابن دانيال : اسمعوا يا أطفال. كل شيء إلا الصخب. هل اتفقنا؟

الطفل 2 : اتفقنا...

ابن دانيال : لن أطالبكم بشيء أكثر من الصمت. أنتم ضيوفي أمدّ لكم موائد الحكايا والسير.

الطفل 1 : عمي الشيخ نريد أن نسألك...

ابن دانيال : هيا اسألوا ما شئتم...

الطفل 1 : ترى أين تمضي دائما بهذه العربة ؟

ابن دانيال : أين أمضي ؟! دنيازاد، هل سمعت؟! **(ملتفتا للأطفال)** إلى ساحات بغداد والشام.

الأطفال : **(في نفس واحد)** نمضي وراءك...

الطفل 2 : ... ولو إلى عين الشمس...

الطـفــل 3 : وبـرج الـقـمـر . . .

ابن دانيــال : **(يضحك)** إلى أسواق فاس والقيروان، إلى بيروت الـغـجـريـة، إلى عـمـان الحالمة، عَالَمـاً كـامـلا أجرُّ ورائي. أجرُّ الأشرار والأخيار. أجرُّ السلاطين والمهرجين. أجرُّ الفقهاء والسفهاء. أجرُّ الأزمان والأمكنة. أجرُّ الفقر أجرُّ الغنى . . . عَالَماً كاملا أجرُّ ورائي . . . عَالَماً كاملا . . .

(يـجـرّ الـعـربـة نـحو المصطبة. يساعده الأطفال. ينسحب الـنـور ليبـقـى في ظـلام شبه تـام منشغلا بتحضير ستارة خيال الظل).

③ تحولات القصدير المنتظرة . .

(يضاء الجانب الآخر، يدخل «المقدم» يتبعه اثنان من أعوانه).

المقــدم : **(للرجلين)** اطرقا هذه الأبواب، أريد أن أكلم أصحابها، بسرعة...

العون 1 : افتحوا الأبواب، افتحوا، المقدم يريدكم في أمر هام.

العون 2 : حمدان، افتح الباب ياحمدان ...

العون 1 : ... افتحوا، المقدم ينتظر **(يخرج من أبواب مختلفة حمدان وسعدان ورضوان).**

المقــدم : أخيرا فتحت ياسمسم ... **(مقتربا من حمدان)** حمدان. أنت قلب الحي وشاعره. أليس كذلك ؟

حمـدان : هكذا يقولون عني ...

المقـدم : وأنت ياسعدان. ياحكيم الحي ولقمانه ...

سعـدان : ... أنا كاتب عمومي فقير ...

المـقدم : أنت عقله المفكر. أليس كذلك ؟

سعـدان : لست وحدي من يملك عقلا ...

المقــدم : **(لرضوان)** وأنت يارضوان. يا أيها العامل في البذلة الزرقاء. أنت ساعد هذا الحي. ساعده الأيمن. والأيسر كذلك ... **(يضحك في خبث)** أليس كذلك؟

رضوان : كلنا في الحي سواعد. نخيط ألوف الألبسة ولا نلبس إلا جلدنا ...

حمــدان : **(في سخرية)** هذا إذا تركوا جلدك آمنا **(يضحكون)**.

المقــدم : أنتم نخبة هذا الحي. من أجل هذا اخترتكم لأنكم تمثلون الحي وأهله... أخبروني أولا، هل تعلمون لماذا أتيتكم؟

حمــدان : نعم. جئت تحمل أخبار السوء كعادتك ...

المقــدم : لا، قل غير هذا.

سعــدان : فما رأيناك إلا رسول الشؤم والنحس ...

المقــدم : كان ذلك قديما. أما الآن فقد تغير كل شيء. صدقوني. لقد أصبحت الدنيا غير الدنيا والأرض غير الأرض... انظروا. إن الشمس قد أصبحت اليوم أجمل والليل أروع... زمن الشؤم مضى. إن اليوم والغد ياسادتي للبسطاء، لمن كان مثلكم يعشق في عذرية وعفة. تحبون الخبز بلا أمل. تتغزلون فيه من بعيد فقط. أياديكم طاهرة كأيدي الملائكة. لم تدنسها الأوساخ. أوساخ الدنيا كالأغنياء. أخبروني ماذا يمكن أن أمنحكم غير الدعاء. سادتي. سلمت أياديكم كما هي. طاهرة نقية...

حمــدان : يعلم الله ماذا وراء هذا التغزل !

المقــدم : لاشيء. صدقوني. هذه كلمة حق أصوغها لفظا وعبارة...

رضوان : ألا ترى أنك أطلت الخطاب بعض الشيء ؟

المقــدم : ربما. ولكن المقام يفرض ذلك ...

حمـدان : بين أحرفك يا سيدي أقرأ أمراً خطيراً . . .

المقـدم : كـلام في محلـه . . .

رضوان : سيدي. ليس بعد الفقر والجوع شيء غير الغضب . . .

المقـدم : عجبا. وهل يغضب السعداء ؟ لا. من جاءهم بشر مثلي يحمل البشرى . . .

حمـدان : **(مقاطعا)** : لايحمل البشرى إلا البشير . . .

سعـدان : وما عرفناك إلا نذير شؤم . . .

المقـدم : **(يضحك)** أحمل اليوم ما يؤكد العكس. اسمعوا هذا المنشور . . . **(يُخرج منشورا. يهم بقراءته ثم يتوقف مترددا)** لا لا لن أقرأ. يجب أولا أن تتهيؤوا نفسيا حتى لايسقط أحدكم مغشيا عليه. من يدري ؟ الفرحة قد تقتل . . . نعم، قد تقتل، فلم تضحك ؟ **(لحمدان)** استعدوا أولا ثم أقرأ المنشور ثانيا . . . اسمعوا **(يقرأ)** لقد قرر أعضاء المجلس البلدي – الموقر طبعا– أن يقوموا بترحيل سكان هذا الحي إلى مكان ما – الدراسات الآن جارية والموقع لم يحدد بعد، ولكن، اطمئنوا – وعليه فلا بد من إفراغ حي القصدير حالا حتى يمكن هدمه وبناؤه فنادق سياحية جميلة. فكروا في السواح والدولار والدينار . . . فكروا . . . **(ينظر إلى الثلاثي ليقرأ في العيون رد الفعل. يرمونه بنظرات غريبة)**. . . آه عفوا، نسيت قراءة الحيثيات. إذن اسمعوا . . . حيث إن الحي – وبناء على التقارير الطبية– لم يعد صحيا . . .

سعـدان : عجبا. كأنه من قبل كان صحيا !؟ أكمل . . .

المقـدم : **(يتابع القراءة)** وحيث إنه معرّض الحريق في كل حين وذلك لاعتماد البناء فيه على . . .

رضوان : نعم. وبناءً ؟

المقـدم : **(ملتفتا إلى رضوان)** شكرا . . . **(يتابع القراءة)** على أن السكان – وأنتم منهم طبعا– يعانون وضعا لا إنسانيا مزريا فقد قرروا ما قرروا . . . **(يطوي الورقة)** أيها السادة، تأملوا هذه الشهامة، تأملوها. بودي لو أستطيع أن أبكي. إنني جد متأثر . . . سترحلون الآن إلى حيث شئتم، وبعد أن تتم الدراسات، ويأتي المهندسون والمقاولون والبنّاؤون والعمال، وبعد أن يحضر الاسمنت والحجارة والحديد والأخشاب والرخام والشاحنات والعربات والرافعات، وبعد أن تأخذ الدلاء طريقها عبر السلالم والحبال، وبعد أن ترتفع إلى السماء دور مفتوحة على الشمس والهواء، بعيدة عن الرطوبة والعفونة. عند ذلك الوقت سأبحث عنكم. أستدعي الأحياء منكم وأترحم على الأموات . . . ستعطون المفاتيح في حفل عمومي يحضره الأعيان والأشراف والجنود والخدم والصحفيون والمصورون والسماسرة والشحاذون والنجارون والحدادون والواقفون على أرجلهم والمقعدون والصم والبكم

والعميان والمقرئون على الموتى... سيكون حفلا مشهودا تهتز له الأرض والسماء وتباركه الملائكة وأقـــلام المؤرخين المأجـــوريـــن (**يضحك الرجال الثلاثة**).

حمـدان : لاتتعب نفسك أكثر، فقد تكلمت بما فيه الكفاية ...

رضوان : تريدون أن نخرج من الحي ؟ إذن اطمئن. سنفعل ذلك إكراما لعينيك (**يضحكون**).

المقـدم : حقـا ؟

سعـدان : نعم، ولكن ليس الآن.

المقـدم : لست أفهـم ...

حمـدان : نحن من يختار الوقت لا أنت.

(يضحكون من جديد. ظلام تام. بعد ثوان تضاء ستارة خيال الظل في الجانب الآخر. نشاهد مهرجا ظليا يضحك بهستيريا).

④ المُخايل القديم والملاحم الجديدة

ابن دانيـال : **(يقف أمام الستارة وينادي)** أيها الناس اقتربوا. اقتربوا تروا . . .

دنيـازاد : . . . اقـتربـوا . . .

ابن دانيـال : سمعتم بطيف الخيال، ولكن . . .

دنيـازاد : . . . هـل رأيتمـوه ؟

ابن دانيـال : لا، إذن اقتربوا تروا . . .

دنيـازاد : اقـتـربـوا . . .

ابن دانيـال : . . . من ممالك الخرافات . . .

دنيـازاد : جـاء المخـايـل . . .

ابن دانيـال : من مدن الغيلان والأحلام، فاقتربوا تروا . . .

دنيـازاد : اقتربـوا . . . **(ينضم حمـدان وسعـدان ورضـوان إلى الأطفال مكونين بذلك جمهورا صغيرا)**.

ابن دانيـال : أنا المخايل. أطوف القرى والمدائن. أقرع الدّف وأحكي السير . . .

الطفـل 1 : قل لنا ياعمي الشيخ ماذا في الصندوق ؟

ابـن دانيال : في الصندوق جـحـا يبيع حبة الفهم. فيه لقمـان والضحـاك وحـمـزة البـهلـوان . . . فيه السندباد والرّخ والعـنـقـاء. فيه مـاسترون بـأعينكم . . . **(موسيقى مرحة. تظهر على الستارة صور ظلية لشخصيات ذات أبعاد تاريخية و أسطورية)**.

ابن دانيـال : **(مقدما الصورة الأولى)** سيدنا علي ...

دنيــــازاد : ... فوق السرحاني ...

ابن دانيـال : مع العاتي رأس الغول **(موسيقى. تختفي الصورة وتظهر أخرى).**

دنيــــازاد : الفارس المغوار ...

ابن دانيـال : ... أبو زيد الهلالي ...

دنيــــازاد : وخليفة الزناتي **(موسيقى. تختفي الصورة وتظهر أخرى).**

ابن دانيـال : فارس بني عبس ...

دنيــــازاد : عنترة بن شداد ...

ابن دانيـال : ... مع الفارس الأعور موشي دايان... **(موسيقى. تختفي الصورة. يعود الضوء من جديد كاملا لنشاهد أن الجمهور الصغير منشغل بلعب الورق والضامة، مما يدل على عدم الاهتمام بما قدّم ...).**

ابن دانيـال : **(منزعجا).** دنيازاد. هل رأيت؟ طيف الخيال لم يعد يثيرهم كما كان...

دنيــــازاد : لقد أغضبتهم من غير شك.

ابن دانيـال : أنا؟ أبدا ...

دنيــــازاد : ... أو أن ملاحمك القديمة ما عادت تثير الناس. لقد حدثتك ألف مرة يا أبي بأن كل شيء قد تغير،

ويجب أن تراجع كل الحكايات والملاحم والقصص القديمة.

ابن دانيـال : فعلا، إنها في حاجة إلى مراجعة ...

دنيـــازاد : بل إلى خلق ملاحم جديدة...

ابن دانيـال : دنيازاد! **(ينظر إليها في خوف)** أخاف من حماسك الزائد!

دنيـــازاد : **(تضحك)** تحدثهم عن الأبطال وأنصاف الآلهة ... لقد تغير الزمن يا أبي ... حدثهم عن الإنسان البسيط، عن العامل الأجير، عن الفلاح وماسح الأحذية. دعني أخاطب الناس مكانك. إنني أحس عذابهم لأنني منهم. أما أنت فملك للماضي...

ابن دانيـال : افعلي ما شئت، يا دنيـازاد، ولكن احذري! شيخوختي لاتحتمل «البهدلة».

دنيـــازاد : **(تضحك) (تنادي في الجمهور المنشغل عنها)**

سادتي اقتربوا ... اقتربوا ...
سأحكي عن الملاحم الجديدة
عن حاملي المشاعل والبنادق
عن زارعي الزيتون والورد والبرتقال
عن سواعد تُرفع للسماء غدا
وتهدم أمسا
ملحمات الأمس مضت، وبدا في الأفق فجر وليد

لقد مات نيرون وقيصر. رحل الأبطال والغزاة
والعظماء سادتي. نحن في عصر الفقراء...

حمـــــدان : **(في فرح)** الآن فقط تقولين شيئا ونفهم قولك!

سعـــــدان : عمي الشيخ نحن ضيوفك الليلة ...

حمـــــدان : نحن ضيوفك...

ابن دانيـال : أهلا وسهلا ...

رضـــوان : تُرى أي شيء أعددت لنا ؟

ابن دانيـال : آه. لست أدري. اسألوا دنيا زاد ...

دنيـــازاد : لا. أنت الشيخ يا أبي. أنت من يكتب الحكايا والحوار ويرسم الصور. تكلم يا أبي!

ابن دانيـال : سأحكي. سأحكي عن شاعر فقير يعيش مثلكم في أكواخ الخشب والقصدير. سأحكي عن ابن الرومي الجديد ... **(تصفيق يدل على الاستحسان)**. سادتي امنحوني أحداقا واسعة وسمعا مرهفا. فأنا لست مؤرخا لا ولست معلم صبيان، وعليه فإن كل مشابهة مع التاريخ إن هي إلا اتفاق ومحض مصادفة ... ابن الرومي الذي رسمته وقصصته بيدي ليس وليد بغداد التي تعرفون... شاعر الليلة ياسادتي قد يكون من باريز، من روما، من البيضاء، أو من وهران. قد يكون علي بن العباس أو قد يكون الشاعر لوركا. قد يكون المجذوب

أو بابلو نيرودا. قد يكون من حيكم هذا. قد يكون أنت أو أنت أو أنت، من يدري ؟ قد يكون وقد يكون ... سادتي... نرحل الآن إلى بغداد – الرمز.

سعـــدان : ومن البداية ...

حمـــدان : تبدأ الرواية ...

(ظـلام تــام)

⑤ أفتح الباب أو لا أفتحه . . .

(بقعة يقف داخلها ابن الرومي. يقرأ الشاعر حوارا مسرحيا من كتاب بين يديه)

ابن الرومي : – الواقفون كأصنام شمع ماذا تفعلون ؟

– نحدق في الشمس . . .

– نقرأ الألواح . . .

– أخبروني إذن. هل تنفست الألواح بهمس ؟

هل تعرّت وانجلت بعد صد وهجران أمس ؟ **(صمت – يغير لهجته)** صمت تام، ثم ظلام أسود حالك فستار الختام . . . انتهت المسرحية **(يضع الكتاب جانبا)**. ألف. لام. جيم. ياء. حروف ماذا تخفي؟ هل أفتح الباب أو لا أفتحه ؟ هل أفتحه ؟ لست أدري.

آه لو كنت أقرأ الرمل والكف،

لأنزع عن عيوني الأسيرة،

حديد القيد والقفل.

آه لو كنت عرّافا أو بحارا من فينيقيا،

لأرحل في أحداق ساعة،

أطوف الغد والآتي،

ثم أعود بالنبأ.

هل أفتح الباب أو لا أفتحه ؟ هل أفتحه ؟

يومك يا ابن الرومي لغز محير، وأحلامك ياضيعتي رموز غامضة ... أحيا بين رمز ولغز.

أخبروني من يفسر الرؤيا ؟ من يفسرها ؟ من يقرأ الأحرف المبهمة؟ من ؟ ألف . لام. جيم. ياء.

حروف ماذا تعني؟ لست أدري. لست أدري ...

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي

ومن أين والغايات بعد المذاهب؟

(يُسمع طرق على باب وهمي)

أشعب المغفل : **(وهو واقف عند الباب ينادي)** ابن الرومي، افتح الباب يا ابن الرومي...

ابن الرومي : دائما أنت يا أشعب المغفل.

أشعب المغفل : اسمي أشعب فقط.

ابن الرومي : وأي شيء أتى بك يا أشعب ... فقط ؟

أشعب المغفل : جئت لزيارتك يا ابن الرومي.

ابن الرومي : وهل طلبت منك ذلك ؟

أشعب المغفل : الجوار يفرض أشياء عدة، وزيارتي أحد هذه الأشياء. زيارتك واجبة، خصوصا وأنت على هذه الحال...

ابن الرومي : أية حال تقصد ؟!

أشعب المغفل : حال المرض. شافاك الله وأبقاك للحرف والجرس والكلمة. اسمع، لقد صليت المغرب منذ حين ورفعت دعائي للسماء. دعوت لك بالشفاء.

ابن الرومي : يا الله ! أأكون مريضا ولا أعرف ذلك ؟ قل لي يا أشعب، من أتاك بهذا الخبر؟ إنه دعبل الأحدب، أليس كذلك ؟

أشعب المغفل : لا. وهل أنا من ينتظر حتى تأتيه الأخبار من غيره؟ هل نسيت أنني راديو الحي ولا فخر ؟

ابن الرومي : لم أنس ذلك، أخبرني يا أشعب، كيف اهتديت إلى مرضي ؟

أشعب المغفل : الأمر سهل، طبقت عليك درسا في المنطق . . .

ابن الرومي : لم أفهم . . .

أشعب المغفل : اسمع، لقد رأيتك تخرج من المارستان . . .

ابن الرومي : شيء لم يحدث أبدا . . .

أشعب المغفل : بل قد حدث. نعم، وكان ذلك في المنام. لقد رأيتك يا ابن الرومي. اسمع، المارستان لايذهب إليه إلا المرضى. هل تجادل في هذا ؟ طبعا لا. هذه إذن هي المقدمة. اتفقنا ؟ وأنت ياسيدي ذهبت إلى المارستان وهذا يعني طبعا أنك مريض وهذه هي النتيجة. هيه، كيف تراني ؟ **(في زهو وافتخار)**.

ابن الرومي : كالرقعة في سراويل المهرجين . . .

أشعب المغفل : **(فرحا)** وسميتموني ظلما، أشعب المغفل.
يا للجحود!

ابن الرومي : هل تدري يا أشعب العالم في المنطق والشعر والجبر؟

أشعب المغفل : **(مكملا)** والميكانيك أيضا . . .

ابن الرومي : اسمع يا أشعب. هل تدري أي شيء قال بشارذلك الأعمى ؟

أشعب المغفل : نعم، قال الكون هباء.
أنا وحدي الموجود في لجة الظلمة . . .

ابن الرومي : لا، بل قال هناك أعمى وأعمى . . .

أشعب المغفل : حقا ؟

ابن الرومي : نعم. يا فاتح العينين وأعمى. عجبا.! رأيتني خارجا من المارستان فقلت عني مريض !

أشعب المغفل : إنه المنطق يا ابن الرومي.

ابن الرومي : قل يا أشعب، وهل إذا رأيتني خارجا من عرس تقول عني العريس ؟

أشعب المغفل : نعم، ثم آتيك مهنئا. هنيئا يا ابن الرومي. هنيئا **(يقترب منه ليعانقه فيدفعه إلى الخلف)**.

ابن الرومي : ابتعد. قل أيضا، وهل إذا رأيتني خارجا من مقبرة، تقول عني ميت ؟

أشعب المغفل : نعم، ثم أبكي بكاء مُرّاً، وأمشي في جنازتك **(يخرج منديلا ليجفف دمعه)**.

ابن الرومي : تمنيت لي الموت يا عدو السماء. اغرب عن وجهي يا لعين. اخرج **(في غضب)**.

أشعب المغفل : لاتغضب يا ابن الرومي. ففي خاطري ألوف المعاني ولكن تهرب مني العبارة. أنا عالم، هل نسيت؟ فاعذرني إنْ أخطأت التعبير . . .

ابن الرومي : أنت لاتحسن شيئا يا أشعب المغفل، فاقترب لأعلمك المنطق، اقترب . . .

أشعب المغفل : **(متراجعا إلى الخلف في خوف)** علمني المنطق، ولكن من بعيد. إنني لست أصمّ . . .

(يخرج أشعب هاربا).

ابن الرومي : اللعين، لقد عطلني عن الذهاب إلى دار عمتي الرباب . . .

(ظلام تام)

⑥ عريب في زمن النخاسة الجديدة . .

(يغرق المنظر الخلفي في ظلام شبه تام. تتدلى من فوق شارات مختلفة الألوان تظهر نساء ثلاث على يمين الجمهور وهن يفترشن الوسائد. الأولى تكتب شيئا، والثانية تعالج العزف على آلة العود، والثالثة تطرز شعرا على منديل).

حبابة : **(وهي تعالج الطرز)** بعد قليل يا عريب ستأتي «المعلمة».

عريب : لتأت.

جوهرة : هذا يعني أنك أنهيت الكتابة، فما أسعدك **(وهي تحتضن عودا)**.

حبابة : أما أنا فما زلت في البدء أرسم الآيات والسور . . .

جوهرة : وهذا الشعر، ربَّاهُ ما أصعبه! لا استقام له وزن ولا لحن.

حبابة : وبعد قليل ستأتي «المعلمة».

عريب : ستدخل كالعاصفة الحبلى بالشر الأصفر وتصيح . . .

جوهرة : **(تقلد المعلمة)** هيه يا بنات خائبات. كيف حال الشغل؟ بخير؟ مريض؟ أو الدوام لله. الشغل مات؟ **(لعريب)** تعالي أنت واسمعيني ما كتبت. . .

عريب : وأقرأ ما كتبت.

جوهرة : **(الممثلة)** وأنت ياحبابة، أريني ما صنعت؟

حبابة : وأريها ما صنعت.

جوهرة : وأنت ياجوهرة الجوهرة. أسمعيني ما وضعت. **(تجيب نفسها بلهجة ثانية)** وأسمعها ما وضعته. **(تستأنف التقليد، بعجرفة)** أشياء رخيصة، عادية، مبتذلة، لم تختمر في الصدر اختمار الراح. عواطف خرساء وخيال أعرج مقصوص الجناح.

حبابة : **(وهي تضحك)** حقا يا عريب، إنها أخت الشيطان ...

عريب : ... في الرضاعة **(يضحكن)**.

حبابة : قالت وهي تمضي وقد ركبت في وجهها حاجب الغضب...

جوهرة : **(تقلدها)** حبابة ...

حبابة : نعم مولاتي ؟

جوهرة : إن عدت واللحن لم يكتمل، كسرت على رأسك المزاهر، كسرت العيدان...

عريب : **(لحبابة)** تأكدي أنها سوف تفعل ...

حبابة : وكيف لا وفي عرقها اليابس ينساب الشيطان **(يضحكن)**.

جوهرة : **(لعريب التي تكتب)** عريب ... أي كلام سودّت على القرطاس ؟

جوهرة : أفي الصدر سر ثوى ؟

عريب : لا.

جوهرة : حبيب مثلا ؟

عـريـــب : في الصدر كبريت وحطب.

جـوهــرة : قولي غير هذا، أصدقك.

عـريـــب : في الصدر جمر وبارود وغضب ...

حـبـابــة : عريب، أنت قصر بلا أبواب...

جـوهــرة : ... في الداخل أسرار وغموض وخوف وضباب...

حـبـابــة : ... من أجل هذا كرهتك المعلمة ...

جـوهــرة : وتقول عنك معاندة مشاكسة...

عـريـــب : وأقول عنها تاجرة، فاجرة.

حـبـابــة : **(خائفة)** غريب. دعينا من ذكرهذه المرأة وأسمعينا عزفا على أوتار قلب طَربِ ...

جـوهــرة : أسمعينا ماكتبت ...

عـريـــب : **(تقرأ)** أحبتي أعيروني السمع أهديكم حياتي فمالي في رسم أيامي غير الكلمات...

جـوهــرة : لنصغ إليك ونسمع...

حـبـابــة : وليغرق الشغل ويفنى ...

الجـمـيـع : وليقع مايقع ... **(يضحكن)**.

عـريـــب : **(تقرأ في رقعة)** أنا عريب الجارية ...

حبابة وجوهرة: **(في نفس واحد)**. أهلا وسهلا ...

عـريـــب : ربوني في حقول تربية الغواني
علموني كيف أفرخ اللذة وأحيك الأغاني ...
راقصة كنت في بيكال

أتعرّى عبر الليال

تلسعني. تجلدني. تدفنني في عمقها عين الرجال

ممثلة كنت في برودواي

أموت في كل ليلة مرة

ثمني؟! **(تضحك في سخرية)** التصفيق يوم أحسن الموت والعهارة

أموت وتنزل الستارة

عارضة للأزياء كنت في باريز

تراني في الأسواق حافية القدمين عارية

وفي الملصقات والصور

تراني كالطواويس أختال في الألوان، الألوان الزاهية...

أنا عريب الجارية. يعرفني نخاسو بغداد والقاهرة...

يعرفني السكارى في بيروت. ويعرفني السماسرة...

(يسمع طرق شديد على الباب. يقف الجميع كالأصنام وقد انتابهن الخوف)

صوت خارجي : **(هو عبارة عن نداء)** عمتي الرباب، ياعمتي الرباب...

جوهرة : الباب يطرق...

حبابة : ... والمعلمة أقسمت أن تبيعك لأول طارق.

جوهرة : عريب أختي...

حبابة : ... أخيرا سنفترق... **(يتعانقن. ظلام تام)**.

⑦ ابن الرومي يسأل ضيف الله . .

(بقعة ضوء في الجانب الآخر. يُرى ابن الرومي وهو يقرع بابا وهميا وينادي : عمتي الرباب. ياعمتي الرباب).

الـربـــاب : **(وهي امرأة عجوز شمطاء ماكرة)** مهلا أيها الطارق مهلا **(تخرج إليه)** إنك تقرع بابا . . .

ابن الرومي : أعرف ذلك.

الـربـــاب : والباب من خشب، والخشب عند النجار، والنجار يريد مالا. وأين المال ؟ أينه ، أين ؟

ابن الرومي : المال في جيبي، والجيب في جبتي، والجبة يا مولاتي تكسو أضلعا تهوى الجمال، وتعشق الحسن، فأين الحسن ؟ أينه ؟ أين ؟

الـربـــاب : **(تضحك في خبث)** وهل يكون الحسن إلا في دار عمتك الرباب ؟ لقد سمعت عني بلا شك، فأتيت معاملي. أنا من يصنع الجواري والقيان. إتقان وجودة ورقة في الأثمان.

ابن الرومي : عمتي الرباب، يامن أنت أخت في الدين، في الله. . .

الـربـــاب : نعم.

ابن الرومي : أطلب ضيف الله . . .

الـربـــاب : مرحبا بكما في قصر فقير متواضع الحال . . .

ابن الرومي : **(في تعجب)**. بكما !. . .

الـربــاب : نعم. أنت والمال ... **(يضحكـان)** ألا قل لي يا ابن أخي، هل في إمكان عجوز شمطاء فقيرة مهذارة معرفة من أنت؟ من عادتي أن لا أسأل هذا السؤال، لأن النـاس عنـدي كـالـدنـانير الصـفـراء. كلـهم يتشابهون. ولكنك أنت لست مثلهم، فمن أنت؟

ابن الرومي : مولاتي، أنا اللوح والقرطاس، أنا القلم ...

الـربــاب : لم أفهم بعد ...

ابن الرومي : ... أنا الزيت والفتيل. أنا السراج ...

الـربــاب : أنت السراج ؟!

ابن الرومي : أنا الليل والظلام، أنا العود والناي وهذا النغم...

الـربــاب : أنت شاعر إذن ؟

ابن الرومي : أحيك الشعر من حرير الهند والسند.

منوالي في النسج، إن تسألي، ضلوعي. وخيوطي رمش عيني ...

الـربــاب : أنت ابن الرومي عرفتك ...

ابن الرومي : ... أصباغ الطرز لو تعرفين،

من سواد العين، من حمرة الدم، من خضرة القلب

أسهر الليل، كالعبَّاد كالزهاد على نور شمعة

تقتات من جفني، من رمشي، من عيني وقلبي

مولاتـي ... أنا من يصنع التيجان لأقلدها جيد الغواني الحسان والقيان

مولاتي ... كالأسياد ... كالأحياء. كالناس في كل مكان أريد صدرا دافئا يكون لحافا ووسادا

أريد نبضا وصوتا.

أريد أنامل سحرية، تداعب أوتار العود وقلبي.

عمتي الرباب، أخبزيني. هل ما أطلبه شيء كثير ؟

الربـــاب : أبدا يا ابن عمي، فقد يعزّ التِّبر ويغلو، ولكن أنت أغلى. قد يحلو الشهد وعزف العود والناي، ولكن شعرك أحلى. أقول هذا الحكم وإن كنت لا أفهم في الشعر شيئا ...

ابن الرومي : مولاتي، مدحت اليوم سيدا من أعضاء المجلس البلدي فأعطاني صرة من ذهب ...

الربـــاب : من ذهب ؟!

ابن الرومي : ... فجئتك أبغي جارية ... جارية تتقن العزف والغناء والشعر و ... فن العشق...

الربـــاب : عمتك الرباب تملك ما تريد **(تفكر لحظة)** هيه ؟ ما قَوْلُ ابن عمي في ابنة الروم حبابة ؟ جيد وحواجب وعيون أعمق من بحر الأوقيانوس ...

ابن الرومي : لا. العيون الزرق يا أَمَةَ الله تخيفني، إنها البحر أخشاه وأخشى أغواره...

الربـــاب : وابنة العرب ؟ من عيونها ليل بألف نجم وألف قمر !

ابن الرومي : **(مرددا).** ألف نجم ؟ مولاتي، وثنيّ أنا، أعبد النجم، أصلي للقمر... **(يضحكان).**

الـربـــاب : ولاتنس أنها كالخنساء تنظم الشعر ...

ابن الرومي : يا لسعدي ...

الـربـــاب : ولكن الثمن يا ابن الأروام، غال ...

ابن الرومي : فليكن. متى كان الحسن ثمن ؟

الـربـــاب : ... وتجيد الرقص كالطيف، كالظل، كسنبلة في مهب الرياح.

ابن الرومي : يا الله !

الـربـــاب : ... ولكن الثمن، وأعيدها ثانية، عال وغال ...

ابن الرومي : ليكن، كنوز الأرض والسماء لا تساوي بسمة حسناء.

الـربـــاب : ... وكشهرزاد تجيد الكلام وسبك الحكايا ...

ابن الرومي : ما أقصر الليل وأسرع سيره في حضرة الشعر والعزف والرقص والرواية !

الـربـــاب : ولكن ولكن ...

ابن الرومي : **(مكملا)** الثمن عال وغال. أعرف هذا يا أمة الله، يا من أكسبتك الحرفة، حرفة بيع الجمال، خبرة بنفوس الرجال ...

الـربـــاب : ولاتنس النساء أيضا، يا لسعدي...

(يضحكان. ظلام تام)

⑧ عريب والرحيل من بغداد إلى بغداد . .

(يعود النور إلى عريب وجوهرة وحبابة. نفس المنظر الذي تركناه منذ قليل)

حبابة : **(وقد ركبت في وجهها لحية صوف. تتكلم كالرجال)** لا. لا غناء يابنت الليل نريد . . .

جوهرة : **(وعلى وجهها لحية صوف هي الأخرى)** بل نريد الغناء.

حبابة : جوهرة. عودي كما كنت من قبل ممثلة . . .

جوهرة : بل لاشيء أحلى من حوار الوتر . . .

حبابة : في إهاب هند ودعد وليلى تذوبين كالثلج، كالنور، كالغمام، تذوبين كالشمع في كل ليلة . . .

جوهرة : عريب. كلميني شدوا، وأسمعيني لحن الفرح . . .

عريب : عجبا ! كيف يطرب من كان مثلي بقلب جريح ؟

حبابة : . . . وكما في عين الحزين يرقص الدمع ويشدو . . .

جوهرة : . . . ارقصي يا عريب . . .

حبابة : . . . ارقصي هكذا . . .

جوهرة : . . . ارقصي . . . **(تثيرانها بشكل مسرحي لترقص على أنغام الفلامنكو)**

حبابة : عريب. أنت شعلة على حافة شمعة . . .

عريب : **(بسخرية)** شمعة تحترق !

جـوهـــرة : وهل كان الشمع إلا ليحترق ؟! ارقصي . . .

عـريـــــب : **(تصرخ بعنف فيتوقف المشهد)** لا ، لا ، أبدا لن أعود لهزّ الأكتاف ، لن أعود . . . لست منك ، لست مني . لن أعود لهزّ الأكتاف ، لن أعود . . .

لست منك ، لست مني

يا ارتعاشة في دم الأرداف .

جـوهـــرة : **(وهي تمثل دور رجل)** عجبا ! تردّ لي مطلبا حقيرا ، وأنا من أنا ! عريب ، هل نسيت أنني أكبر المقاولين في بغداد ؟

عـريـــــب : ولتكن . . .

حـبـابـــة : **(وهي تمثل أيضا)** وأنا . هل نسيت مركزي في كل بغداد ؟

عـريـــــب : ما نسيت شيئا أبدا ، أنت رئيس مجلسها البلدي . . .

جـوهـــرة : اعقلي إذن يا امرأة ! كوني كسائر الناس في بغداد ، أمتصّ جهدهم ولاينطقون .

حـبـابـــة : عـريـــب . . .

عـريـــــب : من تنادي ؟ اليوم ياسيدي ما عدت عريب الجارية . الآن فقط أعرف النور . . . أتنفس

أولـد ثـانيـــة .

جـوهـــرة : ولكن ، من للعود بعدك يا عريب ؟

حـبـابـــة : . . . من للحياة يُحيلها بهجة وعرسا ؟

جوهرة : ... غدا يقول السكارى في كل حانات بغداد ...

حبابة : ... يا لغربةِ الكأس وضيعتها ...

جوهرة : ... يوم عريب ترحل عنها ...

عريب : أبدا ياخصومي وقضاتي. لن أصبّ الراح في الأقداح.

لن أفعل ...

اليوم أدفن في قلبي وفي كبدي

رفات الليالي الملاح...

جوهرة : **(لعريب)** يا ذات الخمار. تعالي تعالي ...

حبابة : ... غربال الطحين لايحجب نور السماء...

عريب : **(تنزع عن وجهها حجابا وهميا)**. لا. من اليوم لن تكون سهامي الحواجب. لن تكون العيون. ألا إن سألتم من أكون ...

جوهرة : **(في سخرية)** أنت امـرأة ...

عريب : بل فتاة أنا، أنا محاربة ...

حبابة : كلام!

عريب : ... حربة غاضبة في جيوش الأمزون ...

(جوهرة وحبابة تصفقان المشهد المسرحي).

جوهرة : **(وقد تخلت عن التمثيل)** حبابة. إنها تمثل جيدا.

حبابة : وأنت ألا تمثلين كذلك؟ ،

عريب : **(تواصل التمثيل)** سأقطع نَهْدِيَ الأيمنَ بضربة حسام حتى لايضايقني عند تسديد السهام **(تسقط إلى الأرض وهي تصرخ بآخر جملة – تدخل الرباب)**.

الربـــاب : **(تصفق استحسانا)** أحسنت يا عريب. أحسنت. . .

عـريــــب : من قبل لم أسمع منك شيئا مثل هذا . . .

الربــاب : كنت أراك بعين امـرأة . . .

عـريــــب : والآن ؟

الربــاب : أراك بعين الرجل . . .

اسمعي يا عريب. لقد بعتك لشاعر يبيض ذهبا وفضة ولكن – وهذا شيء يحدث دائما – إذا وقع شيء – لاسمح الله – فاعلمي أن قصري مفتوح يا ابنتي، أهربي منه وارجعي سرا إليّ . . .

عـريــــب : لتبيعيني من جديد، لا، تأكدي ياسيدتي أنني لن أعود أبدا . . . لن أعود.

(تخرج. تشيعها نظرات الجميع. ظلام)

⑨ استراحة المخايل وطيف الخيال . .

(ابن دانيال داخل بقعة ضوء ضيقة، يمسك في يده صورا ورقية مقصوصة يحركها أمام الجمهور . . .)

ابن دانيال : وبعد هذا يا ضيوف المخايل وعشاق طيف الخيال . . . سار الشاعر الحزين وعريب خلفه **(يحرك صورة ابن الرومي التي بين يديه تتبعها صورة عريب)** . . . سارا إلى حيث لا نور، لامسك، لا ريحان، ولا وسائد، سارا إلى أكواخ الخشب والقصدير، إلى حيث النورُ شموعٌ والفرشُ حصيرٌ وصل الشاعر، أغلق خلفه كل ثقب وباب، وأقام أزمانا في حضرة الجارية قيام أهل النسك في المحراب **(يدخل عاشور وهو يجري. وعاشور هو أبله الحي. إنه طفل كبير يرتدي ثياب رعاة البقر ويمسك بيده مسدسا)**.

عاشـــور : قفوا . . . ولايتحرك منكم أحد، ارفعوا أيديَكم إلى فوق، ارفعوها، اصطفوا واحدا وراء آخر. الأقصر في الأول والأطول في الأخير. . . اسمعوا، من تحرك منكم يمنة أو يسرة فقد جنى على نفسه **(يمتثلون له فيرفعون أيديهم)**.

ابن دانيال : يا الله . إنه نسخة أخرى من أشعب المغفل !

عاشـــــور : **(لابن دانيال).** أوليمـان . . .

ابن دانيال : مـاذا تقول ؟

عاشـــــور : إرفـع يديك إلى السمـاء، أوليمـان **(يضحك)** هكذا يقولون في السينما . . . **(لحمدان)** أنت أيها الأبله، لماذا تضحك؟ وأنت أيضا أيها الوقح **(لسعدان)** لِمَ تُحَيِيني بعينيك ؟ أنا لا أعرفك، ولا أعرف أي أحد منكم، هل سمعتم ؟ في السينما لايضحكون، لايثرثرون مثلكم، لايتعارفون لأنه ليس لديهم وقت لذلك . . .

سعـــــدان : عاشور . . . اسمع أيها الطفل الكبير . .

حـمــــدان : . . . لقد اعترفنا لك بالقوة . .

رضـــوان : . . . وبالشجاعة أيضا . .

سعـــــدان : . . . فماذا تريد أكثر من هذا ؟ ماذا تريد ؟

عاشـــــور : اسمعوا. إنني أخيركم بين شيئين : **المال أو الحياة ؟**

رضـــوان : نريد الحياة طبعا!

عاشـــــور : إذن هاتوا المال بسرعة . . .

سعـــــدان : جئت متأخرا يا عاشور . . .

عاشـــــور : مـاذا أسمع ؟

رضـــوان : لقد أعطينا كل شيء . . .

حمـــــدان : أعطينا العرق والجهد . . . أعطينا كل شيء . . .

عاشـــــور : ومن يكون هذا المتجبر الذي حرمني رزقي ورزق عيالي ؟ أنت يا سعدان، أجبني عن سؤالي . . .

سعـــــدان : إنه المقدم يا عاشور .

عاشـــور : تقصد الشريف ؟

سعـــــدان : سمّه كما تشاء.

عاشـــور : وهل يملك مسدسا مثل هذا ؟

حمـــــدان : يملك مخزنا للسلاح.

عاشـــور : و . . . هل جاء مثلي من ويستيرن سيدي عمرو ؟

رضـــوان : جاء من ويستيرن المتخمين . . .

عاشـــور : ولكنه لايلبس السروال والقميص كما في السينما. ثم ما دخل العمامة؟ ولم لا يمضغ الشوينڤوم، ويشرب الجعة؟ اللعين! قد هددكم إذن والمسدس في يده ؟ هل تعلمون أنه ليس من حقه أن يزاحمني في وظيفتي؟ إنه يمثل القانون. هل تعلمون هذا ؟ وليس من حق الذئب أن يرتدي لباس الراعي، إنه الشّريف، وظيفته أن يحميكم مني ومن أمثالي، اقترب أنت يا رضوان واخبرني : هل طالبكم بشيء؟

رضـــوان : نعم. بالإفراغ أو الموت.

عاشـــور : ولكن ما معنى الإفراغ ؟

سعـــــدان : هو نوع آخر من الموت.

عاشـــور : لم أفهم . . .

حمـــــدان : الأقوياء مثلك لايفهمون . . .

سعـــــدان : لأن التفكير لايصدر عن العضلات . . .

عاشـــور : دعـوا أيديكم مرفوعة إلى فوق، سأرجع حينا. سأصفي بعض الحسابات وأرجع **(يخرج)**.

رضـــوان : **(وقد أنزلوا أيديهم)** لتذهب إلى الشيطان! لقد أتعبتنا بلعبتك التي لاتنتهي ...

سعـــدان : لنعد إلى طيف الخيال وابن الرومي ...

ابن دانيال : دنيازاد، أوقدي السراج ...

دنيـــازاد : سأفعل يا أبي ...

رضـــوان : ولترقص الظلال من جديد ...

حمـــدان : ويعود الدفء للستارة.

ابن دانيال : نحن الآن، أيها السادة، في ساحة من أحياء بغداد الفقيرة ... مضى وقت غير محدد، قد يكون يوما أو بعض يوم. من يدري ؟ المهم أننا الآن بقرب دار ابن الرومي ...

(موسيقى انتقالية – ظلام ثم إضاءة)

⑩ مع جيران ابن الرومي . .

(يعود الضوء فيتحول المنظر إلى ساحة عامة تحيط بها مجموعة من الدكاكين الصغيرة. نرى دعبل الأحدب داخل دكان صغير جدا وهو يبيع العطر والمناديل. نرى عيسى البخيل وهو إسكافي عجوز، وإلى جواره دكان جحظة وهو حلاق مولع بالغناء. يقف جحظة على رأس زبون ركبت في قفاه قوارير معدنية. وإلى أقصى اليمين يمكن مشاهدة باب عتيق هو باب دار ابن الرومي).

جحظة المغني : **(يغني وهو يشتغل)**

ياحبيبا أخشى الموت وعتبه

يبيعني بفلس يا لنحسي

وأشتري بالملايين قربه.

دعبل الأحدب : **(من دكانه وهو يضحك)** باعك غاليا يا جحظة. بفلس ؟! إنني أشفق عليه لقد خربت بيته . . .

جحظة المغني : من تقصد يا دعبل الأحدب ؟

عيسى البخيل : يقصد من باعك طبعا، وهل هناك غيره ؟

دعبل الأحدب : لا ياعيسى البخيل، بل من اشتراه . . .

جحظة المغني : المهم عندي من باعني، هل تفهم ؟ من أسلمني للغير بدون دمع ثم راح . . .

عيسى البخيل : **(وهو يضحك)** لا، من باعك يا جحظة أخذ الفلس ثم استراح. استراح من غنائك ومن خلقتك الكريمة. **(يضحك الجميع)** ألا تعرف الصمت ولو لحظة واحدة ؟

جحظة المغني : وهل أنا إلا حلاق وابن حلاق ؟

دعبل الأحدب : وهذا الغناء الذي لايطرب، ألا تعفينا من سماعه؟ أنظر، إن الحي فارغ من الإنس والطير والجان، لا أحد يقترب من الحي، لا أحد، هل تساءلت يوما لماذا ؟ هل حلّ بنا الطاعون حتى يهرب الكل منا ؟

عيسى البخيل : حلّ بنا ما هو أفظع . . .

جحظة المغني : ماذا تقصد ؟

عيسى البخيل : غناؤك طبعا، يا جحظة المغني رغم أنف الزمن والغناء، نسألك الستر يا الله.

جحظة المغني : أنتم واهمون، نعم، أنظروا، هذا رجل كريم جاءني من مطلع الفجر، هل تساءلتم أي شيء أتى به ؟ . . . أرجوكم لا تسألوني أنا واسألوه هو، اسألوه . . .

(في ثقة بنفسه. يقترب الجميع من دكانه).

دعبل الأحدب : نسأله، تعالوا، **(للرجل)** ياسيدي نريد رأيك – طبعا بكل صراحة وتجرد– في صوت هذا الرجل، هل اتفقنا ؟ **(الرجل ينظر إليهم من غير أن يجيب)** إنه لا يجيب، ينظر إليّ وكأنني أكلمه بلغة أهل الجن . . . يرمقني بنظرة غريبة، تراني قلت كلاما في غير محله ؟ **(أخيرا يجيب الزبون ولكن عن طريق الإشارة فقط، مما يدل على أنه**

أخرس. ينفجر الجميع ضاحكين إلا جحظة الذي تبدو عليه الخيبة).

عيسى البخيل : إنه أخرس ياجحظة وأصمّ أيضا ...

جحظة المغني : من سوء حظي، من الفجر وأنا أهدهده **كالأطفال** المخنثين، ظننت سحر غنائي أخرس **لسانه**... الملعون... **(يُسمع من بعيد صوت المنادي يصيح، فيكفون عن الضحك).**

دعبل الأحدب : هل تسمعون ؟ إنه المنادي. لاشك أن في **الأمر** جديدا.

عيسى البخيل : تُرى، أيّ شيء يقول ذلك العجوز الأبله ؟

جحظة المغني : ستعرف ذلك عندما يأتي أشعب المغفل ...

دعبل الأحدب : إنه يقول – والله أعلم طبعا– إن القصور والعبيد والجواري والخصيان، كل شيء سيفنى...

عيسى البخيل : هذا شيء نعرفه.

دعبل الأحدب : ... كأنه لا كان ولا حبلت به أزمان ...

جحظة المغني : عجبا!... حُلم الأعيان خلود وحُلم ذوي الفقر قيام القيامة...

عيسى البخيل : لأن الحياة تفرق والموت مساواة ...

جحظة المغني : يقول المغني، غدا ستلقى بغداد مصير مدينة النحاس وإرم ذات العماد... غدا تصبح أسطورة على ألسنة المدّاحين والمنشدين.

(يتحول المنظر إلى محكمة. الدقات التقليدية في المحاكمات).

دعبل الأحدب : **(ينادي)** محكمة !

جحظة المغني : **(ينادي)** عيسى البخيل . . .

عيسى البخيل : عيسى الإسكافي ياسيدي. . .

جحظة المغني : الصمت . . . تقدم إلينا في ذل العاصين والخطاة. . . انزع حذاءك المُخَرَّقِ وامش حافيا. انْزَعْ عِمامتك أيضا.

عيسى البخيل : دعوني، لست مستعدا للَّعب . . .

جحظة المغني : لقد نُفخ في الصور وأقيم الميزان فهات ما لديك.

دعبل الأحدب : عيسى البخيل . . .

عيسى البخيل : قلنا الإسكافي، ألا تسمع ؟

جحظة المغني : كنزت الذهب في أحشاء الصندوق . . .

دعبل الأحدب : حرمت أرواحا وأسماعا من رؤية الدينار ورنة الدرهم.

عيسى البخيل : يا الله . . . ما الفرق بين الفقر والبخل ؟

جحظة المغني : بخيل وكذاب أيضا . . .

دعبل الأحدب : كل العيوب في واحد. . . استمر.

عيسى البخيل : فقير أنا، صدقوني. لا أملك غير القميص والنعل!

جحظة المغني : والصندوق ياعيسى ؟

عيسى البخيل : ليس فيه غير مسك وعنبر، ودريهمات تكفي غسلي ودفني يوم الممات. . .

دعبل الأحدب : وشهادة ابن الرومي ؟

عيسى البخيل : إنها رجم بالغيب، صدقوني.

جحظة المغني : يكذب في حضرة الملائكة... اللعين. **(يدخل أشعب المغفل وهو يجري. يتوقف مشهد المحاكمة).**

دعبل الأحدب : أشعب المغفل، اقترب، ماذا وراءك ؟

جحظة المغني : أنت لاتأتي بدون خبر ...

أشعب المغفل : جئتكم بخبر مهم ولكنني متردد... لاتقاطعني، الخبر في مخيلتي، ولكن، هل أقوله شعرا أم أقوله نثرا ؟ أخبروني ...

جحظة المغني : قله نثرا، فذلك أحسن.

أشعب المغفل : بإمكاني أن أقوله شعرا.

الجميع : **(في نَفَس واحد)** نعرف ذلك.

أشعب المغفل : أخبروني أيضا، هل أقوله واقفا كالخطباء، أم جالسا كالعلماء ؟

دعبل الأحدب : قله وأنت طائر في الهواء.

أشعب المغفل : بإمكاني ذلك أيضا ...

الجميع : **(في نَفَس واحد)** نعرف ذلك ...

أشعب المغفل : أخبروني، هل أقوله بالعربية أم بلغة الفُرس ؟

عيسى البخيل : قله بلغة أهل المريخ أحسن...

جحظة المغني : بإمكاني أن أفعل.

الجميع : نعرف ذلك.

جحظة المغني : والآن، أين الخبر ؟

أشعب المغفل : نسيته، ذكِّروني به لأعيده عليكم . . .

جحظة المغني : تريد أن تتذكر! اقترب إذن، اقترب. . . **(يقتربون منه)**

دعبل الأحدب : . . . سننعش ذاكرتك المتعبة. . .

عيسى البخيل : . . . اقترب.

أشعب المغفل : ولكن من بعيد، **(متراجعا إلى الخلف)** إنني لست أصمّ **(يهرب فيجرون خلفه)**.

جحظة المغني : لنرجع إلى المحاكمة !

عيسى البخيل : لنعد لدعبل الأحدب. . . لمن يحمل في ظهره جبل الأطلس والأوراس.

جحظة المغني : ترى أي جواب أعدّ.

عيسى البخيل : . . . يوم الملاك يسأله : لِمَ على الشاعر الحزين تعدى ؟

جحظة المغني : أما وجدت غير هذا المكان ؟. . .

عيسى البخيل : لتفتح هذا القفص الذي أسميته «دكان» . . .

جحظة المغني : وتبيع المسك والعطر والكحل للغواني الحسان ؟

عيسى البخيل : أنت يا عديم الحُسنِ تبيع الحُسنَ ؟

جحظة المغني : . . . فمتى هذا المسخ كان **(يضحكون)** متى ؟!

عيسى البخيل : أما علمت يا دعبل الأحدب أن كل متاعب ابن الرومي جاءت من ظهرك المتورم ؟

جحظة المغني : . . . وفقر بغداد. وسنوات الجفاف والجراد. . .

عيسى البخيل : كل شيء منك تفجر... يا شؤم بغداد ؟

دعبل الأحدب : لا، الشؤم كلام يا أهل هذا الحي والنحس خرافة...

مثلكم أنا مثل كل الصعاليك ضحية.

فكيف إذن أكون الجلاد؟ كيف أكون ؟

كيف يا ملائكة الرحمان تفرخ حدبتي نحس بغداد؟

كيف ؟ ودعبل الأحدب قد تكوّن في رحم هزيل ...

هدّه الجوع والفقر والمرض.

حدبتي ورثتها عن بغداد التي وَزَّعَتْ وما أَنْصَفَتْ.

أعطت غيرنا النور في صحون من ضياء.

وأعطت بني الأصفار دوائر القيد والمشانق والأصفار.

لست شؤما على بغداد وإنما هي بغداد شؤم عليّ،

شؤم على الحُولِ والعُورِ والحُدْبِ والصعاليك والخِصْيَان.

عيسى البخيل : وشهادة ابن الرومي ؟

دعبل الأحدب : سامحه الله.

جحظة المغني : وقوله الخالد عبر امتداد الزمن ؟

دعبل الأحدب : إنه لاشيء، يعيش بعيدا هنا وهو بيننا، لم ير بغداد إلا من ثقب المفتاح. إنه لايغادر بيته أبدا، فكيف يعرفني، كيف يعرفك ؟ كيف يعرف عنا شيئا؟

جحظة المغني : رُفعت الجلسة إلى أجل غير معلوم

(يعودون إلى دكاكينهم. تخفت الإنارة. ظلام).

⑪ ابن الرومي يفتح الباب . .

(يغرق المنظر الخلفي داخل بقعة مظلمة. تحرك إلى الأمام قطع سينوغرافية تمثل دار ابن الرومي. يُسمع طرق شديد على الباب).

الخادم يازمان : **(واقفا بالباب ومعه رجلان)** افتح الباب يا ابن الرومي، لقد جئتك بالسعد.

ابن الرومي : أفتح الباب ؟ ولكن من أنت ؟

الخادم يازمان : أنا شيخ التجار في بغداد، أما عرفتني ؟

ابن الرومي : سفيان بن مروان ؟

الخادم يازمان : هو بعينه، افتح الباب **(يفتح بابا وهميا. يدخل الخادم والحارسان)** أخيرا... قد تفتح السماء أبوابها ولكن أبوابك يا ابن الرومي مقفلة أبدا كالأسرار.

ابن الرومي : ولكن أين شيخ التجار ؟

الخادم يازمان : اسأل عنه في السوق.

ابن الرومي : خدعتني إذن ؟

الخادم يازمان : وما حيلتي...؟ اسمع يا ابن الرومي. لست شيخا ولا نخاسا ولكنني أحمل لك النفع. هل نسيت أنني الخادم الذي لم تَجُد بمثله الأزمان ؟

الرجل – 1 : من أجل هذا سماه الناس الخادم يا زمان.

ابن الرومي : أعرف ذلك. ولكن، لِمَ تُصِرُّ دائما على الكذب ؟

الخاتم يازمان : لماذا ؟ أخبره يا تابعي العزيز . . .

الرجـل – 2 : لأنه مفتاح الأقفال الصدئة.

الخاتم يازمان : أخبـرني. هل كنت تفتح الباب – وبهذه السرعة– لولا الكذب ؟ طبعا لا، إنني أعرفك أيها القفل الصدىء. من هنا تدرك ياسيدي أنه لاشيء يفتح الأبواب . . .

الرجـــــل–1 : . . . وبسرعة . . .

الرجـــــل–2 : . . . إلا الكذب !

الخاتم يازمان : وأنت أيها الشاعر الفقير، عاطل من هذه الحِليّ. تحضر حفلا تنكريا من غير قناع. قبل الدخول في اللـعب، يـجب أولا مـعـرفـة قـواعـد اللـعب كن مثلي. أكذب ثم أكون أول من يصدقني.

ابن الرومـــي : . . . وهذا منتهى الغباء.

الخاتم يازمان : قد يكون ذلك حقا، ولكن، في روايتك أنت . . .

الرجـــــل–1 : . . . أما في رواية أخرى، الرواية الأخرى، وهي الصحيحة. . .

الخاتم يازمان : فهو الدِّقة في الصنعة، نعم، إنني أخلط الحقيقي بالزائف. أكون كالصائغ اليهودي، من يحول النحاس الأصفر إلى ذهب، ثم بعد ذلك يستحيل التمييز بينهما. ليس فقط على الناس، بل على الصائغ أيضـا. . **(يضحك)** كن مـثـلـي يـا ابن الرومي. إشتغلت أول مرة عند سمسار . . .

الرجـــل-1 : سمسار حقير يجيد الرقص كالبهلوان على الحبال، كل الحبال. ويتقن صنعة الحرف المزيف . . .

الخاتم يازمان : كان يتقن كل شيء ويبيع كل شيء. الأخلاق، الضمـائر، المبـادئ، القـرى والمدن والنـاس والخيل والـزرع. . . طرقت بـابه يومـا أسـأل شغلا. . . **(يقلد السمسار. ينظر إلى ابن الرومي على اعتبار أنه هو من جاء يطلب شغلا)** الاختبار قبـل العمـل، هـل اتفـقنـا؟ إليك السؤال الأول إذن. . . هل تجيد الكذب ياولدي ؟

ابن الرومـــي : لا. . .

الخاتم يازمان : **(وهو يقلد السمسار)**. خسرت في الامتحان، ابتعد وليأت غيرك . . . **(يستعيد لهجته)** وعدت إليه ثانية بعد أن قبلت الشرط، وصرت أكذب، ليس فقط على الناس بل عليه أيضا.

الرجـــل-1 : **(يـقـلـد السـمسـار وهـو في حـالة غضـب)**، لا، أنت فهمتني خطأ، اسمع، حقا أريدك أن تكذب، ولكن لحسابي، لا على حسابي أيها المغفل. هل تفـهم؟ **(ينظر إليه بتمعن)** لست متـأكدا بـعد من فهمك. اسمع يا ولد، ستردد أمامي ألف مرة هذه الجملة، قل معي، لن أكذب أبدا إلا لحسابك يا معلمي وسيدي. . . قل. . .

الخانم يـازمـان : أمـا الآن فـقـد أصبـحتُ خـادمـا لـرئيس المجلس البلدي. أتولى تسيير شؤونه المالية والعاطفية أيضا، لقد جئتك منذ أيام يا ابن الرومي، هل تذكر؟

ابن الرومــي : نعم، ونقلت إليّ منحة مهمة.

الرجـــل-2 : لقد أخذت يا ابن الرومي . . .

الخانم يازمان : وجاء دورك في العطاء . . .

ابن الرومــي : ليس لي غير الكلمات . . .

الخانم يازمان : . . . وسيدي لايريد غيرها، فتجارته شراء الأصوات والكلمات وفي بعض الأحيان يشتري الصمت أيضا . . .

الرجـــل-2 : . . . وقد يكون الصمت أغلى من كل الكلمات . . .

ابن الرومــي : **(لنفسـه)** عجبـا يا ابن الرومي! عشت وها أنت ترى، أحتى الصمت ياسادتي يُشترى؟!

الخانم يازمان : اسمع يا ابن الرومي. من عادتي أن آتيك وحدي ولكنني هذه المرة لم أفعل، فهل تساءلت عن السبب؟ ما أظنك إلا فعلت ذلك. نعم، فأنت بئر بلا قرار، عيونك مفتوحة إلى الداخل، لقد اتخذ المجلس البلدي قرارا عرفته كل أحياء بغداد. فهذا يعقوب المنادي **(مشيرا للرجل الأول)** نادى به في الأسواق والدروب بصوت جهير، وهذا إسحاق مقدم الحي سيعمل على تنفيذ القرار . . . يعقوب المنادي، اقرأ عليه القرار . . .

المنـــادي : حاضر ... (**ينادي بأعلى صوته**) يا أهل حي الصفيح، من كان منكم حاضرا فليسمع، ومن كان غائبا ...

ابن الرومـي : ياسيد يعقوب المنادي، تكلم بالهمس، إنني لست أصم. إنك الآن في دار ولست في سوق...

المنـــادي : أعتذر، إنني لاأستطيع أن أقرأ إلا بهذه الطريقة، قبح الله العادة!

الخادم يازمان : ... المهم يا ابن الرومي أن المجلس البلدي قد اتخذ قرارا بهدم هذا الحي... لاتنزعج على بيتك، سيكون لك ما هو أحسن، نعم، لقد فكروا فيك جيدا. ستتحول هذه الأكواخ الحقيرة إلى مركب سياحي ضخم يأتيه السواح الأغنياء من نيسابور وجرجان وفاس وصقلية. ستمطره ألوان من العملة الآتية من أركاديا وفينيقيا وقرطاج، هل تعلم؟ إن المجلس البلدي لايطلب منك شيئا كثيرا. نعم، لا شيء غير أبيات من الشعر. أبيات تصور الحي الحقير وأهله. أنت تؤمن بالشؤم، أليس كذلك؟ تومن بأن متاعبك آتية من هذه الأكواخ الوسخة. من دعبل الأحدب، من جحظة المغني، من عيسى البخيل، من أشعب المغفل، من كل الصعاليك والمشردين، هذه فرصتك

يا ابن الرومي للتخلص –وإلى الأبد– من شؤم هذا الحي ونحسه...

المـنــــادي : ... اكتب شعرا يا ابن الرومي في متاعبك واذكر أسبابها ...

المـقـــــدم : ولك من المجلس الموقر كل ما تبغي ...

الخاسيازمان : سنمضي الآن يا ابن الرومي **(يهم بالانصراف)**.

ابن الرومــي : انتظر، ولكن من يضمن لي صحة قولك ؟ ألا تكون هذه المرة أيضا ...

الخاسيازمان : كاذبا ؟ لا، **(يضحك)** إنني أكذب حقا، ولكن ليس على الفقراء. إنني أطلب دائما ثمنا لمجهودي في الكذب، وماذا يمكن أن أستفيد منك أنت؟ لاشيء طبعا.

(يضحك في خبث ودهاء. يخرجون تشيعهم نظرات ابن الرومي. تخفت الإنارة. ظلام).

⑫ عجبي لك يا مالك الشمس ..

(يعود منظر الساحة وتعود معه الدكاكين الصغيرة. جحظة المغني مازال واقفا عند رأس الزبون الأبكم والقوارير المعدنية مازالت كما كانت أيضا في قفاه. يحتج الزبون الأبكم من خلال مجموعة من الأصوات والحركات. دعبل الأحدب وعيسى البخيل يراقبان المنظر من بعيد وهما يضحكان).

عيسى البخيل : يكفي يا جحظة، الرجل يكاد ينطق...

جحظة المغني : لينطق إذا شاء...

دعبل الأحدب : ... إنه يغلي غضبا ...

جحظة المغني : غضبه يدل على أنه لم يشف بعد ...

عيسى البخيل : ماذا تقصد ؟

جحظة المغني : هل تعلمون أن تضخم الدم هو أصل الغضب؟ وأن خير وسيلة للقضاء على غضب الرجل هو امتصاص دمه الفاسد ؟ إنني لن أتركه أبدا إلا بعد أن يتحول جمره رمادا. وأن يصبح كالحمل وداعة ورقة...

دعبل الأحدب : ولكن ... ألا ترى أن جلسة الرجل قد طالت أكثر مما يلزم ؟

جحظة المغني : العبرة في النتائج. أما الوقت فشيء ثانوي، خصوصا بالنسبة لرجل تافه مثله.

(يدخل أشعب المغفل وهو يجري كعادته)

أشعب المغفل : **(يصرخ)** وجدتها ... وجدتها ... وجدتها ...

عيسى البخيل : ماذا وجدت يا أشعب المغفل ؟ تكلم ...

أشعب المغفل : لن أجيب ياسيدي العاقل، اسحب أولا كلمة المغفل...

عيسى البخيل : تكلم لقد سحبتها يا أشعب... فقط.

أشعب المغفل : اسمعوا جيدا، لقد وجدت الخبر الذي حدثتكم عنه...

دعبل الأحدب : أخيرا، حدثنا إذن يا أشعب، ومن البداية **(يتحلق الجميع حوله)**.

أشعب المغفل : قلت يا أهل بغداد من ذوي العقل والرأي والسداد، لقد سمعت بأذني هذه وأذني أمينة...

الجميـــــع : **(في نَفَس واحد)** نعرف ذلك ...

أشعب المغفل : ... أن ابن الرومي – رعاه الله– قد مدح سيدا **(مستفسرا عما قاله)** هيه، ماذا قلت ؟

الجميـــــع : **(في نفس واحد)** ابن الرومي مدح سيدا.

أشعب المغفل : ... جميل، ثم رحل إلى دار الرباب، معلمة الجواري... ماذا قلت ؟

عيسى البخيل : رحل إلى دار الرباب ... معلمة الجواري.

أشعب المغفل : نعم. طرق الباب طبعا ...

دعبل الأحدب : ... وجاء من يفتح ...

جحظة المغني : ... دخل ابن الرومي ...

عيسى البخيل : ... وقال للرباب ... ماذ قال يا أشعب ؟

أشعب المغفل : بيعيني جارية ياعمتي ماذا قلت ؟

دعبل الأحدب : أكمل بسرعة، باعتك الجن والشياطين.

أشعب المغفل : سأغضب حتما يا دعبل ...

دعبل الأحدب : نعم، ولكن ليس قبل أن تُتم الحديث ...

أشعب المغفل : ... فباعته سلطانة الحُسن والدلال، عريب الجارية ...

دعبل الأحدب : باعته «عريب» ؟! أيعقل هذا يا أشعب ؟!

أشعب المغفل : ولم لا ؟ لقد قلتها دائما وما صدقتم. الشاعر أقدامه في التراب مثلنا ولكن رأسه في السحاب.

دعبل الأحدب : من أجل هذا إذن، أقفل الباب خلفه.

جحظة المغني : الملعون، وأنا من تصورته كل صباح ينهض من فراشه، يلبس أثوابه ثم يطل على بغداد من ثقب المفتاح.

عيسى البخيل : ومن الثقب يا جحظة ماذا يرى الشاعر ؟

جحظة المغني : ماذا يمكن أن يرى غير دعبل الأحدب القاعد صبح مساء بلا بيع ولا شراء؟

دعبل الأحدب : أما أنا فقد تصورته يا رفقتي يقوم كل صبح وفي عينيه حلم أخضر. يترك الوساد وعلى شفاهه بقايا ابتسام الأحلام. يقوم الشاعر وفي قلبه شوق إلى بغداد فيكون أول شيء يسمعه هو صوت جحظة، فيعود المسكين إلى فراشه، يخلع

ملابسه وفي قلبه خوف من يوم نحس... أعوذ بالله من يوم غُرَّتُه صوت جحظة. ثم يتلو القرآن ويعلق التمائم ويقرأ اللطيف... يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف. **(يضحكون)**.

جحظة المغني : لا، ابن الرومي يستعذب صوتي وألحاني. فقل غير هذا نصدقك.

دعبل الأحدب : ما رأيت غير الذي رويت.

جحظة المغني : كلما غنيته رماني بالزهر والورد والريحان...

دعبل الأحدب : اقترب إذن من بابه وغنّ، وسترى إن كان سيرميك بالطوب أو بالرمان.

جحظة المغني : سأفعل لتعرف أنك على خطأ يادعبل...
(يقترب من الباب. يتهيأ للغناء) اسمع.

يا حبيبا أخشى الموت وعتبه
يبيعني بفلس يا لنحسي
وأشتري بالملايين قربه

(تسقط من فوقه مزهرية وبعض الأشياء الأخرى. يضحك الجميع لذلك).

ابن الرومي : **(من خلف الباب)** من الذي يبكي ؟ من ينتحب ؟

جحظة المغني : أنا لا أبكي ولا أنتحب.

ابن الرومي : وماذا تفعل إذن ؟

جحظة المغني : إنني للمبعَد عني أغني...

ابن الرومــــي : عجبا؟!

جحظة المغني : أرجع الصوت بلحن طرب،

هذا لحني ذقه، ولكن، في خشوع وانتباه،

هذا لحني ذقه وكبّر وكبّر،

وصعّد ملايين آه...

ابن الرومــــي : آه على حظي التعس!

جحظة المغني : آه يا ابن الأروام آه ...

ابن الرومــــي : ماذا أيضا ؟

جحظة المغني : آه... لو تراني عاريا أغني تحت قبة الحمام.

ابن الرومــــي : احتشم يا صعلوك بغداد.

جحظة المغني : أحتشم؟! وهل قلت عيبا ؟ أخبروني أعزكم الله.

عيسى البخيل : **(ضاحكا)** أبدا.

جحظة المغني : ... أوَ تُراني حلّلت ماكان يوما حراما ؟ قلت يا ابن الرومي، تمنيت لو أن المهندسين من إرَمَ ذات العماد – شَدُّوا الرحال– يمّموا بغداد.

وأقاموا سقفا عظيما يحجب الأرض والعباد.

ابن الرومــــي : نعم لتصبح بغداد غير بغداد، تتحول من أجل عينيك إلى حمام ؟

جحظة المغني : نعم يا ابن الأروام ...

ابن الرومــــي : احتشم يا رجل، احتشم، أنت تُرهق سمعي وسمع التعساء بهذا الشيء الذي تسميه غناء ... اسمع ياجحظة ! يا مغني الحمام، هذا الخلق الذي ترى

يريد أن يرتاح. يريد أن ينام . . .

جحظة المغني : من عنده عريب لاينام . . .

ابن الرومـــي : عريب ؟! **(ملتفتا إلى أشعب)** هل قلت شيئا يا راديو الحي ؟ . . . لقد أخبرتهم بكل شيء، أقرأ ذلك في عيونك.

جحظة المغني : كيف تغفو ياعديم القلب ؟ كيف تغفو ؟

ابن الرومـــي : كيف أغفو ؟! **(تحيط به المجموعة من كل جانب)**

جحظة المغني : . . . وعريب أحلى من جنيات الأحلام والخيال.

المجمـوعــة : **(تغني بصوت واحد)**

عجبي لك يا مالك الشمس،

تغمض الجفن وتغفو،

والناس في عرس ؟!

ابن الرومـــي : كيف أغفو يا رفاق الدرب ؟

وعريب سكناي والليل لبسي ؟

المجمـوعــة : **(تغني)** عجبي لك يا مالك الشمس،

تغمض العين وتغفو،

والناس في عرس ؟!

دعبل الأحدب : من بيته السماء وعريب الثريا . . .

عيسى البخيل : . . . أبدا لا تغفو عينه . . .

جحظة المغني : ولا يعرف غفوة.

المجمـوعــة : **(تغني)** عجبي لك يا مالك الشمس،

تغمض الجفن وتغفو،

والناس في عرس.

عيسى البخيل : كيف تذكر النوم ودنياه ؟

دعبل الأحدب : ... وهو شقيق الموت والرَّمْس ؟

جحظة المغني : كيف تذكره ؟ ...

المجموعة : **(تغني)** عجبي لك يا مالك الشمس ،
تُغمض الجفن وتغفو ،
والناس في عرس ؟!

جحظة المغني : العمر ياسلطان العاشقين شمعة ...

دعبل الأحدب : وهل تضيء الشمعة أكثر من مرة ؟ **(تتسلل المجموعة من غير أن يشعر بها ابن الرومي. تخرج وهي تردد اللازمة : عجبي لك ... يبقى الشاعر وحده وهو جالس في وضع الصلاة. ينسحب النور عن المنظر الخلفي).**

ابن الرومي : **(يكلم نفسه)** سامحك الله يا ابن الرومي ، لقد ظلمته ، ظلمت جحظة المغني. من قَبْلُ لم أكن أدري أن صوته يقطر زهرا وشهدا ، ساعتها لم تكن عريب صوتا ولحنا ، لم يكن يتغنى بمن تكسب الصوت ظلا ولحنا **(يتثاءب)**.

⑬ عريب الحلم تصبح أربعة . .

(تضاء ستارة خيال الظل، تنشاهد ظل رجل في مثل وضع ابن الرومي تماما . . .).

ابن دانيـال : **(معلقا على الصورة الظلية وإلى جواره دنيازاد)** سادتي . . . راحة الجيران ضعوها فوق العين والرأس –الشاعر ياإخوته ورفاقه– أسلم للنوم قياده. فاحذروا سادتي. فقد يفيق ونفسد أحلامه . . .

دنيــــا زاد : أبي . ماذا تفعل ؟ أما انتهينا بعد من الأحلام ؟

ابن دانيـال : وما ذنبي أنا، إذا كان هذا طبع الشعراء ؟ اطمئني يا ابنتي، سأغير خط سير الرواية، ولكن ليس الآن **(يختفي خيال الظل).**

ابن الرومـــي : **(داخل بقعة ضوء كما تركناه) (يتثاءب)** يا الله!، النجم يُبرق في الأحداق. ماذا أرى ؟ قصور بغداد تفقد ثقلها، إنها تطير . . . تطير . . . فقدت أحجامها أيضا، أصبحت لعبا صغيرة يتقاذفها الأطفال، يفككونها، إنها من ورق، من ورق. يا الله! إنهم يعيدون تركيبها من جديد. لقد جعلوا منها أكواخا جميلة . . . جوارحي لم تعد مني. لقد تخلت عني هي أيضا. أصبحتُ شفافا

كغيمة. تخترقني الفراشات والطيور ... ماذا أرى؟ **(ينظر حوله)** نبتت لي ملايين الأجنحة، وظهرت في وجهي آلاف الأعين ... إنني أرى كل الأمكنة، أرى كل الناس، أرى الفراشات والطيور... يا الله ! حتى النجوم تطير أيضا. لقد أصبحت لها أجنحة وردية. أبسط كفي لتمتلئ نجوما وأقماراً وورداً ... و **(يطارد فراشات وهمية في حركة سينمائية بطيئة)** ياه ... كل شيء أمسكه يتحول وردا وزهرا، حتى الحجر، حتى التراب، حتى أغصان الشجر والأوراق والثمار... **(في الخلف تظهر نساء أربع تحمل كل واحدة منهن اسم عريب. الأولى ترتدي رداء أسود، والثانية رداء أبيض. أما الثالثة فثوبها أحمر. بينما الرابعة تظهر في رداء أصفر. تقف كل واحدة منهن أمام مرآة وهمية).**

عريب-1 : **(مخاطبة المرآة)** يا مرايا السعد كوني عينه

ابن الرومي : **(لنفسه)** . هذه عريب ...

عريب-2 : **(للمرآة أيضا)** أخبريني. هل أملأ أُفُقَهُ الرحيب و أوسِرُ عينيه ؟

ابن الرومي : قلبي أسيرك يا عريب من قبل أن يُخلق القيد ...

عريب-3 : **(للمرآة ...)** أشيري عليّ، أي لون أختار ؟

عريـــب-4 : ... وأي عطر أتنفس ؟

عريـــب-1 : **(إلى ابن الرومي)** ابن الرومي يا ابن عمي ...
هل تراني أحلى في لبس السواد.؟

ابن الرومـــي : أبدا، كل شيء إلا السواد ...

عريـــب-1 : أنزعه إذن وإن كان جلدي ...

ابن الرومـــي : إنه ظلمة القبر والمجهول، لون الحِداد.

عريـــب-2 : وفي الأبيض كيف تراني ؟

ابن الرومـــي : مولاتي، يُذكرني الأبيض بالشيب باللحد بالكفن...

عريـــب-3 : والأحمر ؟

ابن الرومـــي : إنه لون الجراح، ما لنا – أختنا– ودنيا الجراح؟

عريـــب-4 : وما قولك في الأصفر ؟

ابن الرومـــي : سقم وهمّ، إليك عنا يا رسول العدم ...

عريـــب-1 : فكيف إذن ؟

عريـــب-2 : يا من يهوى الجمال ...

عريـــب-3 : ... ويهواني ...

عريـــب-4 : تريد أن تراني ؟

ابن الرومـــي : عشقتك قبل أن تكون الألوان والرداء، لو أحببتك والرداء يا فاتنة، لجعلت منك اثنتين وأنت واحدة. حين أراك لا أرى شيئا سواك. في حضرتك تختفي كل الأشياء إلا أنت يا عريب ...

عريـــب-1 : لم تجبني يا ابن الرومي ...

عريـــب-2 : كيف تريدني ؟ . . .

عريـــب-3 : . . . كيف تهواني ؟

ابن الرومـــي : شفافة كالنور كالضياء كغمامة وردية،

صافية كالنبع بلا لون بلا ظل،

أهواك يا جارية،

رأيتك يوما في حدائق هسبريس،

كتابا مفتوحا والرياح تقرأ،

رأيتك أنت لا الظل،

ورق التوت لم يكن بعد حاضرا.

أهواك يا عريب . . . أهواك عارية . . .

(تضحك النساء وهن هاربات . يبقى ابن الرومي وحده. ينسحب عنه النور شيئا فشيئا. ظـلام).

⑭ أعطوه الشعر والخطابة . .

(يعود النور إلى ابن دانيال وجمهوره المتحلق حول ستارة خيال الظل)

ابن دانيال : أخبروني سادتي، هل تعيش الأحلام وتنمو لولا عيون الفقراء ؟

دنيازاد : أبَتِ . . . **(غير راضية على قوله)** ماذا تقول ؟

ابن دانيال : . . . هل ترقص الطير وتشدو لولا حروف الشعراء ؟ . . .

حمدان : إنني أعجب لابن الرومي كيف يقول الشعر . . .

ابن دانيال : يا الله ! تتعجب وأنت شاعر مثله ؟ أخبرني يارجل. ألست شاعر الحي ؟ شاعر الفقراء ؟

حمدان : **(يضحك)** لقد كان ذلك قديما . . .

ابن دانيال : واليوم ؟

حمدان : تغير كل شيء، كتبت الشعر مدة، ولكن حسابات البقال والعطار وصاحب الكراء والماء والكهرباء والنور والهواء اختلطت بأشعاري وما عدت أميز في دفاتري بين الحرف والرقم. ضاع الألف بين الواحد . . . **(يضحك)** تأملت القمر جائعا فما رأيت القمر أبدا، رأيته صحنا ممتلئا سمكا . . . **(يضحك الجميع)** إن ابن الرومي الذي قدمته يا سيدي لايشبهني . . .

سعـــــــدان : ومن أجل هذا نعترض على فنك ...

دنيــــازاد : وأنا كذلك يا أبَتِ...

ابن دانيــال : **(مصدوما)** حتى أنتِ؟!

دنيــــازاد : لوحتك الأخيرة لم ترقني ...

رضـــــوان : ... كانت حلما ...

دنيــــازاد : دعني يا أبي أصور عريب الجديدة، ستراها كما لم تـرهـا من قـبل ... **(تصيح)** أطفـئ النور يـا أبَتِ... (ظلام. **موسيقى انتقالية**).

ابن الرومــي : **(في الجهة الأخـرى وقد عـاد الضوء. يطـل من خلف ثقب المفتاح. الثقب في حجم ابن الرومي تماما. من الجانب الآخر للثقب، نرى المجموعة المكونة من أشعب المغفل وعيسى البخيل وجحظة المغني ودعبل الأحدب والزبون الذي مازالت القوارير المعدنية في قفاه)**.

المجموعـــة : **(في نفس واحد)** قالوا عنك يا ابن الرومي ...

ابن الرومــي : **(من خلف الثقب)** ماذا قالوا؟

المجموعـــة : قالوا أعطوه الشعر والخطابة ...

ابن الرومــي : نعم؟

المجموعـــة : ... وعربيا تشدو في رتابة ...

ابن الرومــي : وبعد ذلك؟

المجموعـــة : دعوه يناجي الليل والعين...
ويبكي أطلال هند وزين ...

ابن الرومـــي : وهذا حال كل الشعراء.

دعـبـل الأحـدب : أنت واهـم، لقد تـغيرت الدنـيـا. اسـمـع يـا ابـن الرومي، إن اليوم غير الأمس...

ابن الرومـــي : ما تغير شيء أبدا ...

عيسى البخيل : وكيف تعرف ذلك ؟

جحظة المغني : ... وبابك مغلق دوما ؟

عيسى البخيل : . افتح الباب تر. افتح الباب ...

(تدخل عريب، فيقف ابن الرومي أمامها جامدا كالصنم. صمت طويل)

المجمـوعـــة : **(في الجهة الثانية، دون أن تحس بمقدم عريب، تنشد)**

متى تفهم ياسيد السادات،

أن الأزمات في بغداد أصبحت حلقات،

والحلقات حولها الحاوي سلاسل،

والسلاسل في الأقدام الحافية،

يمسكها سيدي – قفاز الحرير؟

(صمت. ينتظرون أي رد من ابن الرومي ولكن بدون جدوى)

دعبل الأحدب : **(قلقا)** ابن الرومي. لم لا تجيب ؟ قل شيئا، **أي** شيء...

عيسى البخيل : ... المهـم ألا تبـقى هـكذا ... **(صمت)** لا أحد يجيب **(ابن الرومي لازال يحدق في عريب)** ...

جحظة المغني : اسمعوا، يجب أن نُحْضِرَ السلالم حالا لنرى ما أصاب الشاعر . . .

دعبل الأحدب : نعم، لنذهب، فقد يكون –لاسمح الله– قد أصابه مكروه. هيا . . . **(يخرجون مسرعين)**

ابن الرومـي : عريـب، أنـا من رأيتني فـي الحلـم الأشقـر في استدارة الكاف. . .

عـريــــب : كلام الشعراء . . .

ابن الرومـي : ورأتك عيني برحم الزمان،
في التواء النون. . .

عـريــــب : ماذا تعني ؟

ابن الرومـي : نحن حرفان يا عريب. . .

عـريــــب : سمعت ذلك. . .

ابن الرومـي : نحن مبدأ هذا الكون. . .

عـريــــب : يخيل لك فقط يا سيدي . . .

ابن الرومـي : عريب أجيبي . . .

عـريــــب : مـولاي، كلامك أمـر، فعـن أي شـيء تـريد أن أجيب؟

ابن الرومـي : دعينا من الحديث عن النهي والأوامر. لسنا الآن في الجندية، عريب، لم لا نكون رفاقا في مسيرة العمر؟

عـريــــب : لماذا ؟ ألأنك المولى وأنا الجارية ؟ نحن ياسيدي لانكون رقم اثنين، فالجمع قال عنه أهل الحساب

يفرض أن يكون المجموع من جنس واحد. التبر والتراب لاتجمعهما إلا الحروف المشتركة، وكذلك نحن ياسيدي.

ابن الرومـي : عريب، الكون ظلام وعماء، فكيف بلا نور أهتدي؟ امنحيني رفقتك فأنا الآن سجين الإسمنت والحجارة، سجين هذا السقف، سجين بغداد، سجين وساوسي وأوهامي السقيمة. أنظر إلى فوق فأرى السماء بعيدة، بعيدة جدا. أريد أن أصعد، ويُلقي إلي القمر بالسلالم ويقول لي اصعد، ولم أصعد، ترددت واستغرق التردد دهرا، وكان أن تمزقت الحبال والسلالم وبقيت في الوحل. عيوني تهرب من أرجلي يا عريب، تهرب من قدري. أبحث عن حدائق هسبريس. إنها بالقرب مني، على بعد خطوة فقط. أو ربما أقل، من يدري ؟ ولكنها محاطة بالزجاج، فعند أبوابها السبعة حراس من الجن. إنهم يحرسون التفاح الذهبي، لا أحد يقترب. المنطقة ملغومة، محاطة بسياج مكهرب. إنني أحس بالخوف وحدي. أحس بالموت. من غيرك لا أستطيع شيئا، فامنحيني يدك يا امرأة، امنحيني يدك . . .

عـريـــــب : لك مني ما تريد، ألستَ المولى وأنا الجارية ؟

ابن الرومـي : عدنا إلى حـديث الأوامر من جديد. لا . . . إنني أريد أن يكون فعلك محض اختيار.

عـريـــب : وهل للعبد حق الاختيار ؟

ابن الرومـي : من قال هذا ؟

عـريـــب : قوانين بغداد المتخمة. . .

ابن الرومـي : **(غاضبا)** لتغرق بغداد وقوانينها في نهر دجلة !

عـريـــب : وصك البيع الذي بين يديك ؟

ابن الرومـي : مـاذا ؟ **(يخرج ورقة ويتأملها)** اسمعي يا أمَـةَ الله، لا أريد أن تجمعني بك ورقة حقيرة، لذلك فاني أمزقها أمام عينيك . . . أنظري . . . **(يمزق الورقة)** . . . أنت الآن حرة، يمكنك أن تتصرفي – إذا شئت طبـعـا – أو أن تمكـثي . . . **(تخرج عريب. يشيعها ابن الرومي بنظراته)** عريب . . . عيناك بحر الأوقيانوس، في أغوارهما ضاع كل ملاح وكل غواص . . . يا ويح قلبي، أبكي وأنا الجرح والخنجر. . .

(تعود المجموعة وهي تحمل سلما يقف على قائمتين. يصعدون الواحد خلف الآخر وهم يتهامسون في حذر)

المجموعــة : **(ينشدون)**

من أرض نجد جئت بالعشق نديا،

نجمك التائه في رحم السماء،

والليل والقمر الأشقر،

ملك يديا.

دعبل الأحدب : أكتب الحرف وتقرأ ...

عيسى البخيل : ... وأرحل في عين غمامة ...

جحظة المغني : ... أذوب نورا ثم تمطرني ...

دعبل الأحدب : ... أنا في الأصل غمامة.

ابن الرومــي : **(في غضب شديد)** عدتم من جديد، أنتم عذابي الذي يمشي وينطق، متى تفهمون أن حضوركم يسرق النور من أيامي ؟ اجيبوني ! أليس من حقي أن أحيا ككل الناس ؟ ماذا أذنبت في حق السماء؟ مـاذا أذنـبت في حـقـكـم؟ اغـربـوا عـن وجـهـي واتـركـوني أجتر عـذابـي ... إلـيـكـم عـنـي ... ابتعدوا عن بابي وأعتابي، لقد لوثتم الضياء والهواء ... اتركوني، اتركوني.

(يدفع السلم الذي تقف المجموعة فوقه في جنون عصبي. ظلام)

⑮ إلى أن يغيب المشوهون . .

(يعود النور من جديد لنجد أنفسنا في الساحة أمام عيسى ودعبل وجحظة والزبون الأبكم الذي لازال يمتج دائما والقوارير في قفاه . . .)

جحظة المغني : **(للمجموعة)** سادتي يا أهل هذا الحي التعس، اقتربوا، اقتربوا أكثر، لقد حضرتني الآن أشعار . . .

عيسى البخيل : خير لك أن تشتغل يا رجل . . .

دعبل الأحدب : فالشعر لا يطعم البطون الجائعة . . .

جحظة المغني : لاأحد يفهم شيئا في هذا الحي التعس، صدقت يا ابن الرومي، أنت وحدك من يعرف الناس وخبثهم. سادتي، أعيروني آذانكم الكريمة لحظة ثم من بعد خذوها، اختموها بالشمع إن شئتم أو بالرصاص. اسمعوا. . . **(يتهيأ للقراءة)**

عيسى البخيل : سنسمعك ولتكن هذه آخر مرة . . .

جحظة المغني : **(يقرأ)** إخوتي في الله والدرب والحي، من يصدق؟

دعبل الأحدب : لست أنا على كل حال.

جحظة المغني : لم أسأل أحدا منكم الجواب فانصتوا رحمكم الله . . .

عيسى البخيل : حاضر . . .

جحظة المغني : **(يستأنف القراءة)** جعلت من ضفائر العذارى سلما وتدليت . . .

نزلت الأرحام السائلة،

ورحلت إلى المدن المالحة،
وبنيت بغير طوب ولا حجر غرفة درس،
وعلمت الأسماك أصول السباحة.

دعبل الأحدب : عجبا، وإذن أنت من أنت ؟ . . .

جحظة المغني : أرجوكم، التعليق من بعد، ثم لا تخلطوا – أعزكم الله – بين المجازي والحقيقي. . .

عيسى البخيل : دعوه يكمل ومن بعد نرى، أكمل يا جحظة . . .

جحظة المغني : إخوتي في الله والدرب من يصدق ؟

دعبل الأحدب : لا أحد . . .

جحظة المغني : **(ينظر إليه في غضب ثم يتابع)** إحترقت بنار الشوق الأزرق، فقدت وزني، تبخرت، تحررت من نعلي وقميصي، ومن بقايا الموت والأكفان، وأعطيت دروسا للطيور المهاجرة، علمتها، سادتي، كيف يكون الطيران . . . **(ينظر إليهم ليقرأ في عيونهم أثر كلماته)** أعجبتكم كلماتي من غير شك، أليس كذلك ؟ إنني أقرأ الاستحسان في عيونكم.

دعبل الأحدب : جحظة، لقد أعجبنا بهذه الكلمات من قديم. . .

جحظة المغني : من قديم ؟!

عيسى البخيل : نعم، منذ عشر سنوات أوأكثر . . .

دعبل الأحدب : جحظة، هل نسيت ذلك اليوم الذي أنشدها أمامنا – وأنت معنا طبعا – أنشدها الشاعر ابن الرومي؟

جحظة المغني : إنني... نعم... إنني لقد وقع الحافر على الحافر... هذا شيء يمكن أن يقع. نعم ويمكنكم أن تسألوا علماء الشعر والبلاغة والنقاد والشعراء وأهل المنطق. من يدري؟! فقد يكون شيطاننا في الشعر واحدا، يلهمني بنفس ما يلهمه ...

عيسى البخيل : يا للحقير! يمتص دماء الخلق ...

دعبل الأحدب : ... وأشعارهم أيضا **(ضحك عام – يسمع صوت مفتاح يدار فيتوقفون عن الضحك)**.

عيسى البخيل : **(وهوينظر إلى الباب)** يا الله! أيكون ابن الرومي قد قرر الخروج أخيرا؟

جحظة المغني : ولم التعجب؟ سحر صوتي يفعل أكثر من هذا، إنه كالقدر، كالطوفان كالزلازل، نعم، إنه جبار في غير عنف طبعا...

دعبل الأحدب : أنت تُخرِّف، لاشيء يحرك ابن الرومي إلا المسك والعنبر. وهذا دكاني قوارير عطر حملتها القوافل من كل أرض، لقد قالها ابن الرومي، العطر رسول العشاق، يحمل الأنفاس ويمشي بها بعيدا. إنه ... **(يخرج ابن الرومي وقد ارتسم على وجهه الغضب)**

ابن الرومي : يا الله، متى تبتلع الأرض هذا الحي؟ متى ترمينا الطير من السماء حجرا؟ متى يأتينا الطوفان الثاني ليملأ الأفواه الناحية ملحا وماء؟

عيسى البخيل : لِمَ ترمينا بالغضب يا ابن الرومي وأنت منا ؟

ابن الرومي : لماذا ؟!

دعبل الأحدب : مهما تكن عاقا للأخوة، فنحن نحبك، هل تسمع ؟...

جحظة المغني : لأنك صوتنا، أنت منا يا ابن الرومي.

ابن الرومي : لقد غابت عريب ... ذهبت مع الطيور المهاجرة. أنا مجرد أطلال في صحراء، لاشيء غير هيكل محشو بالألغام فكيف أكون صوتكم ؟ كيف وقد أضعت الوحي والعبارة ؟ خسرت نفسي بغير رهان وأنتم السبب ...

المجموعة : **(بصوت واحد)** نحن ؟!

ابن الرومي : نعم، أنت السبب يا أحدب الحي ...

دعبل الأحدب : سامحك الله ...

ابن الرومي : وأنت كذلك يا مصاص الدماء ...

جحظة المغني : أرجوك، لاتخلط بين الأشياء. إنني حقا أمتص دماء الناس –وهذا أحدهم– (مشيرا **إلى الزبون الأخرس)** ولكن من أجل شفائهم. حقا لست طبيبا، لكنني شبيه بالطبيب.

دعبل الأحدب : ... ولست مغنيا كذلك ...

عيسى البخيل : ولكنه شبيه بالمغنين ...

ابن الرومي : **(بسخرية)** يغني؟! اسمع يا سيدي، إن الفم الذي يمتص الدماء أبدا لا يمكن أن يحسن شدوا

أو غناء... كلكم أعدائي، كلكم. تركتم كل الأحياء وجئتم إليّ، لماذا ؟ هل أذنبت في حقكم ؟ لماذا ؟ يا الله ! كنت أعمى بغير هاد ولا عكاز. كنت واهما. مَنَّيت نفسي بالعطاء في دار البخلاء. ولكن، كيف أقطف النجم زهرا وورداً ؟ كيف أفرش الدرب بساطا وسجادا وأنا أفتح الباب صباحا ومساء على هذه النماذج العجيبة ؟ أحدب ومصاص دماء وأبله أخرق وبخيل يتنفس بحساب...

عيسى البخيل : أنت تظلمنا يا ابن الرومي... نحن مثلك أخوة في الدرب والمصير...

دعبل الأحدب : ... نقتات من حنظل مر...

جحظة المغني : ... ونشرب من ماء عكر.

عيسى البخيل : إن السكين التي تذبح شاتك تذبح كل الشياه...

ابن الرومي : لقد أعطيت ظلمة القبر شيئا مني. أعطيت أبناء وزوجة، وها أنا الآن أموت بالتقسيط، أموت خطوة خطوة.

عيسى البخيل : وكل أطفالنا يموتون أيضا...

دعبل الأحدب : ... أو يكبرون مشوهين معتوهين...

جحظة المغني : ... والسبب ليس أنت ولا أنا، ليس هذا. إنه الغذاء الناقص. وإذا كان لابد من الغضب فلنغضب يا ابن الرومي على مروجي الفقر والجهل والمرض...

ابن الرومـي : لـيـس هـذا فـقـط، لـقـد أطـعـمـت داري الأولـى للنيران . . .

عيسى البخيل : كل أكواخ القصدير معرضة للنار. هل نسيت أنها من الخشب ؟ وليست من الإسمنت والحجارة ؟ افتح عينيك ترَ الأشياء كما هي، يشد بعضها بعضا. لاشيء يحدث هكذا من غير ملامسة محسوسة، وبغير أسباب .

دعبل الأحدب : أنـت تُقِيـم بين الأشـيـاء عـلاقة سحرية، لاشيء يربط النجم بأقدار الناس، لاشيء. وحدبتي يا ابن الرومي لاتمس أحدا غيري. . .

ابن الرومـي : وماذا تقول في كلام الجريدة ؟ **(يخرج من جيبه جريدة)** أيكون هو الآخر مجرد أوهام وخرافات؟

دعبل الأحدب : الجريدة؟!

ابن الرومـي : نعم، هل قرأت يا سيدي «حظك اليوم» ؟ طبعا لا، وإلا لما كنت تقول ما تقول . . . اسمع إذن . . . **(يقرأ)** ستفقد شخصا عزيزاً لديك ويكون السبب هو نحس يأتيك من رجل أحدب . . . **(يكفّ عن القراءة)** وهل في هذا الحي رجل أحدب غيرك ؟ أنت السبب . . . كان عليّ أن أعرف هذا قبل الآن. كل صباح أفتح الباب وفي عيني ظمأ إلى بغداد، وأطل لأراك جالسا أمامي كالظل الأسود . . .

عيسى البخيل : إن ما تفكر فيه يا ابن الرومي لايمكن أن يكون، لأنه غير معقول . . .

ابن الرومـي : **(ضاحكا في ألم وسخرية)** غير معقول؟! كل ما في بغداد أيضا غير معقول، ولكنه مع ذلك موجود. هل تنكر هذا ؟ في ظهرك يا دعبل أرى شقائي وشقاء بغداد. أراك دوما منحنيا كمنجل صدئ، كإنسان خرافي خرج من قلب الأساطير. في وجهك أقرأ لعنة الله والسماء . . .

دعبل الأحدب : أنت لا ترى الأشياء يا ابن الرومي، ولكنك تخلقها. عيونك مفتوحة على خيالك . . .

ابن الرومـي : دعبل، أريد أن أفتدي منك نفسي . . .

دعبل الأحدب : لم أفهم . . .

ابن الرومـي : أريد أن أشتري منك رحيلك فكم تطلب ؟ كم؟ مئة ؟ ألف ؟ أطلب ما شئت. . .

دعبل الأحدب : عجبا! تريد شراء موتي ؟

ابن الرومـي : بل أريد حياتي. أليس لي الحق في أن أحيا كسائر الناس ؟ أجب ! لقد كهربت عالمي، زرعت في أركانه ألغاما ونارا. دعبل، أنا ما عدت أرى الوجود إلا من خلالك، أرى الهلال في انحناءة ظهرك، أرى الحياة قصيرة في مثل قامتك. إنني أختنق . . .

دعبل الأحدب : إفتح الأبواب والنوافذ . . .

ابن الرومـي : كيف أفتحها وأنت أمامي كصخرة القبر، تذكرني بالموت بالطوفان بالزلازل بالوباء ؟ لم يحدث أبدا أن فتحت الباب يوما ولم أجدك. قد يخطئ دجلة يوما ويغير المجرى، وأنت ثابت أبدا في مكانك.

دعبل الأحدب : سأرحل يا ابن الرومي كما تطلب...

عيسى البخيل : ماذا تقول يا دعبل ؟ هل فكرت في ؟ . . .

دعبل الأحدب : سأرحل، لا طمعا في عرضك السخي ولكن من أجل أن تعرف أن غيابي لن يغير شيئا . . .

(يخرج)

المجموعـــة : **(تجري خلفه لتثنيه عن الذهاب)** انتظر يا دعبل... انتظر . . . انتظر يا رجل.

(يخرجون كذلك – ظـلام)

⑯ وعادت عريب . .

(يعود الضوء من جديد وإذا نحن في الساحة. تشتغل المجموعة بملء عربة عتيقة بأمتعة دعبل الأحدب. تتم العملية بشكل ميمي تصاحبه موسيقى تصويرية تساعد على رسم عملية الشحن. تنتقل الأمتعة الوهمية من يد لأخرى وذلك في تسلسل منتظم)

أشعب المغفل : **(يدخل مسرعا كعادته. تتوقف الحركة)** اسمعوا، لقد جئتكم بخبر سيغير مسار التاريخ . . .

عيسى البخيل : أنت لاتكفّ عن حماقاتك أبدا . . .

أشعب المغفل : وأنت لاتكفّ عن احتقاري يا عيسي. . . اسمعوا، إنني لا أريد أن يرحل منكم أحد **(لدعبل بلهجة الأمر)** أعد أمتعتك إلى مكانها . . . وبسرعة.

دعبل الأحدب : قل هذا الكلام لابن الرومي . . .

أشعب المغفل : اطمئن، ستقوله عريب.

الجميـــــع : عريب . . .

أشعب المغفل : نعـم، ستـأتي بعد حين. صدقوني. . . لاتنظروا إلي هكذا، فلست كاذبا. لقد شكوت لها عذاب ابن الرومي ومتاعب الحي، ففضلت أن تكون معنا لأنها منا. وليعرف الشاعر أنه لا علاقة إطلاقا بين دعبل وغيابها، أعد أمتعتك إلى مكانها. . . تتهمونني دائما بالفضول مع أنني لست كذلك.

يعز عليّ أن يتعذب منكم أحد من غير أن أكون بجانبه. لذلك ألتقط الأخبار، أتصيدها، لأن مصيركم يهمني. ففي أمنكم وسلامتكم أجد عزائي وراحتي ... عريب آتية، لذلك جئت مسرعا يا دعبل، جئت قبل أن ترحل ...

(ينادي أمام الباب) ابن الرومي، افتح الباب، لقد جئتك بأحلى الأخبار. افتح الباب ...

ابن الرومي : **(من خلف الباب)** أنت لا تأتي إلا بأخبار النحس يا أشعب. تحمل الأخبار وتمسخها. أنت مرآة تشوه ماتنقل ...

أشعب المغفل : أُعف عنه يا الله!، أطعمه من قلبي فيطعمني الشوك. إسمع يا ابن الرومي، عريب آتية ...

ابن الرومي : أنت تخدعني ...

أشعب المغفل : أبدا، عريب في الطريق إلى الحي. صدقني ولو لمرة واحدة ... **(تدخل عريب وتأخذ مكان أشعب. تقف خلف الباب بحيث تراه ولايراها)**

ابن الرومي : **(لنفسه)** عريب، يا من أفرخت في القلب وطارت. أنت شعلة من لهب. أخبروني، هل تمسك النار إلا وهي حفنة من رماد ؟ ولست أريدك إلا نارا وجمرا، قد أحترق، قد أذوب وأفنى، أموت وليحيا الفناء ...

(يفتح الباب أخيرا ليجد نفسه أمام عريب. لحظة صمت تموت فيها الكلمة والحركة. ينسحب الجميع إلا ابن الرومي وعريب)

ابن الرومي : عدت يا عريب ؟

عريب : عدت.

ابن الرومي : رجعت للفقر والجوع والنحس ؟ لماذا ؟

عريب : لماذا ؟! لأنني منك، من هؤلاء، من مدن الصفيح من أكواخ القصب. اليوم يا ابن الرومي أعود، أعود للنبع أعود للأصل . . .

ابن الرومي : لا، يا عريب لا، مكانك فوق. إنني أشفق عليك من عالمي، من مصيري التعس. عودي من حيث أتيت واتركيني. مملكتان نحن يا عريب، بيننا حدود وجمارك وأسلاك شائكة. الفقر كالموت شيء شخصي، دعيني إذن أحمل فقري وحدي. إنه لعنة من السماء. لعنة تخصني أنا، لا أنت، فابتعدي حتى لاتصيبك العدوى. . .

عريب : لا، كيف تلحقك اللعنة يا ابن الرومي ؟

ابن الرومي : لست أدري . . .

عريب : وأنت ما زرعت شوكا ولا سدرا ؟

ابن الرومي : وذلك ما يحيرني . . .

عريب : كل أفكارك يا ابن الرومي في حاجة إلى مراجعة . . .

ابن الرومـي : وبغداد أيضا تحتاج إلى مراجعة...

عـريـــــب : نعم. ومن أجل هذا أتيت إليك. غدا نبني، ونعلي معا أسوار بغداد الحلم. غدا نخرج من مملكة الظلال لتعانق الناس والقضايا ...

ابن الرومـي : يا الله!، من قبل يا عـريـب لم تسمعيني مثل هذا الكلام. لماذا؟

عـريـــــب : لأنك كنت غريبا عني.

ابن الرومـي : لم أفهم!

عـريـــــب : كنت في بيتك جارية.

ابن الرومـي : نعـم، وكـنـت المـولى... ليتنا ما التقينا في بيت الرباب يا عريب.

عـريـــــب : لقد منحتني حق الاختيار وقد اخترت. اخترت أن أكون إلى جـوارك، إلى جـوار دعـبـل وعـيسـى وجحظة وأشعب وغير هؤلاء. إنني أراك واقفا في بـركـة مـاء وعـيـونك فـوق... سجين بـغـداد وأشياخها وسجين نفسك... ابن الرومي، إنني أشفق عليك من ...

ابن الرومـي : **(مقاطعا في غضب)** لا أريد شفقة من أحد، لست شحاذا أسأل عطفا وحنانا ...

عـريـــــب : وأخطأتُ التعبير يا ابن الرومي، فمعذرة. إنني أشفق على مصير الأشقياء ونحن منهم.

ابن الرومـي : نحن؟! هل نسيت قولك الأول يا عريب ؟ نحن لانكون رقم اثنين أبدا. هل نسيت المجموع الذي قال أهل الحساب إنه يجب أن يكون من جنس واحد ؟!

عـريـــب : ونحن الآن كذلك . . . نحن من معدن واحد. أنا منكم يا ابن الرومي. بنت الصفيح أنا، والخشب . . .

ابن الرومـي : أنت منا ؟! ظلمتك إذن ياعريب.

عـريـــب : لست وحدي من تظلمه.

ابن الرومـي : لم أفهم قولك.

عـريـــب : سيأتي الوقت وتفهم كل شيء يا . . . أيها الطفل الكبير. أما الآن فهيء سمعك لتسمع، فلي عندك مطلب . . .

ابن الرومـي : أُطلبي ماشئت . . .

عـريـــب : أريد خلخالا . . .

ابن الرومـي : فقط ؟

عـريـــب : أريد خلخالا معينا أضعته اليوم في السوق. كنت أمشي في الزحام فسقط من قدمي. بحثت عنه ولم أجده. سألت عنه بائعي السمك والقصب وبائعي الفخار. سألت التجار والمنادين والحمالين وكل من في السوق. سألت ولم يرشدني أحد. ليس هناك من يمكن أن يعثر عليه غيرك.

ابن الرومـي : ولماذا أنا بالذات ؟

عريب : إن هذا الخلخال هدية، هدية من جدتي المرحومة. لقد كانت امرأة صالحة تقية. هل تعلم يا ابن الرومي إن خلخالي يجلب السعد ؟

ابن الرومي : قد يكون، ولكنني ما عرفت السوق أبدا . . .

عريب : هذه فرصتك إذن لتعرفها .

ابن الرومي : هبيني عرفتها، فكيف أعرف الخلخال ؟ كيف ؟

عريب : الأمر بسيط، إنه من فضة.

ابن الرومي : كل الخلاخل من فضة، قولي غير هذا.

عريب : . . . ثم إن به نقشا يمثل شعرا جميلا.

(يدخل أشعب وعيسى ودعبل وجحظة والزبون الأبكم. يسير الجميع بخطى خائفة)

ابن الرومي : عيسى، جحظة، دعبل، أشعب، اقتربوا. هذا قلبي التعس أنشره عند أقدامكم سجادا وبساطا. اقتربوا . . .

جحظة المغني : (بارتياب) ما هذا الكلام الزائد ؟

عيسى البخيل : هل أنت بخير يا ابن الرومي ؟

ابن الرومي : نعم، لأول مرة أشعر بأنني أحيا وأتنفس وأرى. اقتربوا، اقتربوا يا من في أحداقكم أقرأ ما في القلب. قلوبكم ناصعة ظاهرة. أراها منشورة أمام الكل على حبل الغسيل . . . أشعب، يا رسول الحي وقلبه، لست فضوليا. نعم، لأنك

الجزء والكل. أنت روح بغداد، الظل. بغداد الفقراء ... وأنت ياجحظة، يا كَرَوانَ حيٍّ الصفيح، غنيت عذابنا وشقاءنا، غنيت أفراحنا... وأنت يا دعبل ...

دعبل الأحدب : سأرحل كما ودعتك يا ابن الرومي.

ابن الرومي : لا بل ستبقى، نعم، أخاف عليك من العراء. أخاف من قبضة السماسرة، ستبقى. سيبقى الجميع. وليذهب الخادم يا زمان إلى الجحيم..

عيسى البخيل : يازمان ؟! هذا الاسم جديد على سمعنا يا ابن الرومي...

ابن الرومي : سأحدثكم عنه، ولكن ليس الآن ... وأنت يا عيسى ؟

عيسى البخيل : لست بخيلا يا ابن الرومي. صدقني ...

ابن الرومي : أصدقك ...

عيسى البخيل : تصديقك غير كاف لأنه وليد حالة، حالة عابرة، كل مواقفك تبنيها أحوال نفسية وتهدمها أخرى...

جحظة المغني : إنه كالسماء يغيم مرة...

دعبل الأحدب : ... ويشرق مرة أخرى ...

جحظة المغني : نريدك أن ترى الأشياء بعقلك ...

دعبل الأحدب : ... أن تخرج من بين الجدران وتعانق بغداد...

ابن الرومي : اطمئن يا رجل، سأفعل ما تقول.

عيسى البخيل : كلام فقط، تقوله كل مرة.

ابن الرومـي : الأمر هذه المرة يختلف.

أشعب المغفل : أنت بلا شك تمزح يا ابن الرومي.

ابن الرومـي : **(لعريب)** سأنزل إلى أسواق بغداد لآتيك بالخلخال. **(للمجموعة)** إخوتي، ودّعوني أو شيّعوني، فقد أعود أو لا أعود. من يدري ؟ وداعا يا عريب. سأرحل من بغداد إلى بغداد. وداعا

(يخرج فيجري الجميع خلفه مودعين إياه إلا عريب التي تقف جامدة كالصنم)

عريـــــب : **(تحدث نفسها في حزن)** يا الله! ماذا فعلت؟ بعثت به للسوق لا ليعود بالخلخال ولكن لأحرره من نفسه وأوهامه. تراني فعلت خيرا أم ارتكبت خطأ قاتلا ؟ لست أدري... لست أدري...

(تنشد) بغداد يا بغداد يا وردة غجرية، يا مناجم الأحزان، والنار والغيم والدخان، كنت عراقك يوما وكنت نبية.

بغداد يا بغداد يا وردة غجرية، تعطلت ساعة الميدان، فَشِخْتِ في لحظة وأنت بعدُ صبية

بغداد يا بغداد...

(تخفت الإنارة في شكل تنازلي يوازي صوت عريب الآخذ في التلاشي – ظلام).

⑰ إلى أن ينزل الستار..

(يعود الضوء إلى ابن دانيال الراوي وإلى خيال الظل ...)

ابن دانيـــال : سادتي... رحل ابن الرومي كما رأيتم والعيون خلفه... في القلب مسمار أطول من عذاب الأبرياء. وبين الأنامل الحالمة بقايا الحلم والشعر.

رحل الشاعر، ألقى للريح والموج شراعه،
نزل من سماء بلا زرقة ولا أنجم، ليعرف بغداد،
ليعرف أسواقه ودروبه ...

حمــــــدان : لم تخبرنا يا ابن دانيال عن مصير مدينة القصدير.

ابن دانيـــال : تسألون عن حي ابن الرومي ؟

رضـــــوان : نسأل عنه ...

ابن دانيـــال : عجبا، وحيكم مهدد بالهدم في كل لحظة ؟!

سعـــــدان : كنت تبعدنا إذن عن قضايانا.

ابن دانيـــال : أبدا ...

سعـــــدان : تخدرنا كالأطفال بالأغاني والحكايا ...

رضـــــوان : ... لنغمض الجفن وتبقى الدنيا كما كانت ...

ابن دانيـــال : لا، اسمعوا، إنني لا أحسن لغة الجيل، لذلك أترك الحديث لابنتي دنيا زاد... حدثيهم يا ابنتي...

دنيـــــازاد : سادتي، إن بغداد الحكاية ليست بغداد التي تعرفون...

ابن دانيـــال : نعم، إنها هذا الحي، نسخة أخرى من مدينتكم هذه **(يذكر المدينة التي تُمَثَّل فيها المسرحية)**

دنيـــازاد : ... ودعبل وجحظة وعيسى وأشعب وابن الرومي وعريب. كل هذه الأسماء إن هي إلا أقنعة تخفي خلفها نماذج بشرية من هذا الحي. من هذه المدينة...

ابن دانيـال : ... فابحثوا عن أنفسكم خلف الأقنعة.

دنيـــازاد : أنتم أهل بغداد الجديدة...

ابن دانيـال : ... فلا تسألوا إذن عن حي ابن الرومي.

دنيـــازاد : واسألوا عن حيكم، عن قضاياكم.

ابن دانيـال : ... أنتم وحدكم من يملك الجواب.

دنيـــازاد : من يصنع الملاحم والحكايا ويعيد تشكيل بغداد الجديدة...

عـاشـــور : **(يدخل مسرعا وهو يلهث)** الدنيا تغيرت من حولكم وأنتم لا تدرون شيئا ... **(يرفعون أيديهم إلى فوق كالعادة)** لا، دعوا أيديكم كما هي، فلست في حاجة إلى أموالكم الحقيرة. كان ينقصني شيء واحد وقد حصلت عليه أخيرا. انظروا، إنها قبعة جميلة، أليس كذلك ؟

سعـــدان : عاشور، من أين أتيت بهذه القبعة يا ملعون ؟

عـاشـــور : لم أسرقها، نعم، يمكن أن تصدقني...

حمـــدان : السماء لاتمطر القبعات.

عـاشـــور : ولكنها تمطر السواح والأجانب والمغامرين والدولار أيضا.

سعـــدان : سألناك من أين أتيت بالقبعة ؟

حمـــدان : تكلم وإلا أزهقت روحك أيها الأبله.

رضـــوان : من أين أتيت بها ؟

عـاشـــور : ارفعوا أيديكم وإلا أخرجت المسدس، اسمعوا، سأحدثكم عن شيء أو أشياء غريبة، فإن صَدَ قْتُموني فأهلا وسهلا، وإلا فإلى الجحيم أنتم وأوهامكم الغبية. لقد جاء الحيَّ رجال من التكساس...

سـعــدان : ماذا تُخَرِّف ؟

عـاشـــور : ... نعم وإن كانوا بغير خيول ولا مسدسات معلقة على الحزام. إنهم يرتدون قبعات جميلة ويدخنون السيجار. رأيتهم يقيسون الأرض ويدونون أشياء في الأوراق ...

رضـــوان : إنهم المهندسون، متى ستفهم يا عاشور ؟

عـاشـــور : المهندسون ؟!

رضـــوان : نعم ولقد أتوا لتحطيم الحي ياغبي ...

عـاشـــور : ولكنهم طيبون، قالوا بأنهم سيبنون بنايات جميلة كالتي نراها في السينما، وأعطوني اشوينگوم وأنواعا مختلفة من المعلبات، وسألوني عن أشياء أخجل من ذكرها ...

عـاشـــور : لقد وعدوني بمسدس جديد، وداعا أيتها الأماني، وداعا...

حـمــدان : اخرس أيها الأبله، هل تريد أن يسقط السقف فوق رأسك ؟...

سـعــدان : ... وأن تبقى مشردا بلا بيت ولا مأوى ؟

عـاشـــور : طبعا لا.

سعـــــــدان : إذن تعال واتبعنا . . .

رضـــــوان : . . . وافعل كما نفعل، تعال **(يجذبونه من يده أصوات خارجية هي عبارة عن صياح. يمكن تصوير التظاهر من خلال الصور الثابتة أو أية حيلة تقنية أخرى)** انظروا، إن أصحاب القبعات يتراجعون أمامَ الحناجر الغاضبة. . .

عـاشــــور : **(في خيبة)** لقد ذهبوا وقد لايعودون غدا.

رضـــــوان : بل سيعودون . . .

(يخرجون. تجري دنيا زاد خلفهم)

ابن دانيـــال : **(يناديها)** دنيازاد، إلى أين تذهبين يا ابنتي ؟

دنيــــــازاد : أين أذهب ؟ أذهب إلى حيث يذهب هؤلاء.

ابن دانيـــال : ولكننا لسنا منهم، نحن من عالم آخر . . .

دنيــــــازاد : أنت واهم يا أبي، ليس هناك إلاعالم واحد ومدينة واحدة. . . الكلمة التي تفتقر إلى الحركة هي كلمة زائفة تماما كعملة بلا رصيد. وجودنا داخل المدينة وعذابنا أشياء لايمكن القفز فوقها. تعال يا أبي. . . عذاب الفقراء ما كان يوما فرجة ولن يكون أبدا . . . تعال . . . **(تمد يدها لابن دانيال. يتردد هذا لحظة لم يعطيها يده)**.

ابن دانيـــال : **(مترددا)** وقصة ابن الرومي ياابنتي، إنها لم تتم بعد . . .

دنيــــــازاد : اطمئن. سنكملها في مسرحية أخرى. . .

(يخرجان فتنزل الستـارة)

الفهرس



د. عبدالكريم برشيد

- حاصل على دبلوم في الإخراج المسرحي من أكاديمية مونبوليي بفرنسا.
- مستشار سابق لوزير الثقافة.
- مندوب جهوي وإقليمي سابق لوزارة الشؤون الثقافية.
- درس بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي بالرباط.
- حاصل على الدكتوراه في المسرح من جامعة المولى إسماعيل بمكناس (2003).
- الأمين العام لنقابة الأدباء والباحثين المغاربة وعضو مؤسس لنقابة المسرحيين المغاربة.

هذه المسرحية

عالم تتداخل فيه الأزمان بشكل غريب، ويعيش الماضي في الحاضر، ويصبح هذا الحاضر متضمنا لكل الأزمان المختلفة. تتعدد العوالم في هذا العالم، تتقاطع وتتصادم وتعيش صراعا خفيا، بين عالم الشرق وعالم الغرب، بين عالم الأغنياء وعالم الفقراء، بين عالم الرجل وعالم المرأة. إنها عالم يحبل بالمتناقضات ويجسد كل مظاهر الصراع، بين العالم الكائن والعالم الممكن، بين عالم الأضواء وعالم الظلال، بين عالم الأجساد وعالم الأشباح، بين عالم الأحلام وعالم الأوهام، بين عالم المسرح وعالم ماوراء المسرح، بين عالم الوجوه وعالم الأقنعة. لكن في حقيقة الأمر لاوجود سوى لعالم واحد أوحد هو عالم الإنسان.

د. عبدالكريم برشيد



من إصدارات المؤلف

• عنترة في المرايا المكسرة • سالف لونجة • الزاوية • منديل الأمان • الناس والحجارة • عطيل والخيل والبارود • فاوست والأميرة الصلعاء • امرؤ القيس في باريس • اسمع يا عبد السميع • النمرود في هوليود • خيطانو المجنون • الدجال والقيامة • ياليل يا عين • موال مسرحي • الحكواتي الأخير...



EDISOFT Edition — إديسوفت

24، زنقة القاضي الزموري الأحباس - الدارالبيضاء
الهاتف: 08 91 44 022 - Tél.: 022 44 91 08 - الفاكس: Fax: 022 44 46 43
E-mail : edisoft@menara.ma



ISBN 9954-406-94-8
9 789954 406946
الثمن 18,00 درهما